علم حديقة

1

وفيه ان اول بيت وضع قال ابن عباس عليه الصلاة
بعث الله منه من سبعة اهل السموات السبع والارض
السبع فالذي لبيته البيت بالحجون المسمى بغيب
لبيت السبع كل واحد منهم في السماء من السماوات السبع
كالذي لبيته البيت

وفيه ورد عن عمر رضي الله

اللهم ارض في سبيلك وموتا في بلد رسولك
وقد استجاب الله دعاءه وجمع له بين هاتين

اقتداء بالكلام المجيد واقتفاء
بالحديث الحميد ثم قال اللهم
صل على محمد وعلى آله وأصحابه
المستضيئين لاصحابه وسلم و
هذا طريقة المغاربة حيث يأتون
بالتصلية والتحية بين البسملة و
الحمدلة فاعلم الشاطبية ولعل فيه
بأن البسملة المشتملة على غاية الا
لوهيته وصفات الالهية والرحمة
بمنزلة لشروط الشهادتين فمن كلمة
التوحيد فلابد من انضمام الشرط
الاخير لاتمام معنى التوحيد التحميد
ليترتب على توفق تحصيل هذا
المقام فقال المحشي وفي بعض
النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله
على الكمال
في نسخة الشيخ الفقيه على الناظم
وعياض بكسر العين على
بتشديد الصاد والفتح اخفه وجه
عند رواية الدباغ وهو بسنده الى
يحصب بن مالك قبيلة من حمير
باليمن على الناظم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الفقيه الامام العالم الحافظ
ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
رحمه الله احمد نبيه المنفرد باسمه الاسمى المختص
بالملك الاعز الاجمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى الظاهر فليس دونه شيء والباطن فليس
دونه شيء وسع كل شيء رحمة
وعلما واستبق على وليائه نعما وعما وبعث فيهم
رسولا من انفسهم اعزا وابرا واذكاهم جدا
ومنحى وارجحهم عقلا وحلما وارفرهم علما وافهما
واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما
زكاه روحا وحسا وحباه نعما وقسما
واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا
واذانا صما فآمن به وعزره ونصره واتبع النور الذي
جعل الله جل وعزله في مغنم السعادة قسما وكتب به وله

هداية

عن اياته من كتب الله عز وجل عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله
عليه وسلم صلوة تمنوا وتحنى وعلى اله وسلم تسليما
اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين
ولطف لي ولك بما لطف به لاولياءه المتقين
الذين نزههم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وحضهم من معرفة ومشاهدة عجائب ملكوته
واثار قدرته بما ملأ قلوبهم حيرة وولهة عقولهم
في عظمته حيرة فجعلوا اهمهم به واحدا ولم يروا
في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدته كالله
وحاله يتنعمون وبين انوار قدرته وعجائب
عظمته يتردون ويا لو انقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون ليجين بصادق قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك
كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف
بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له
من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم
ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل
فرومته ظفر وان اجمع ملك ما اوسعوا فاوسعنا
في ذلك من مقال واجبتك بتنزيل صور وامثال
فاعلم اكرمك الله انك عملتني من ذلك امرا امرا
وارهقتني فيما تدبني اليه عسرا وارقيتني
بما كلفتني من ذلك مرقى صعبا منوفلبي رعبا

فانّ الكلام فى ذلك يستدعى تقرير اصول
وتحرير فصول والكشف عن غوامض دقائق
من علم الحقايق مما يجب النبى صلى الله عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ويعرف النبى
والرسول والرسالة والنبوة والمحمدة وكل له
وخصايص هذه الدرجة العلية وهاهنا ايها
فيحجم محجار فيها القطا وتقصر بها الخطا
ومحاهل تضل فيها الحلوم ان لم تهتد بعلم علم
ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام
فلم نعتمد على توفيق من الله وتاييد كنى بالرجوع
والملك فهذا السؤال والجواب من نزال وتوا
بتعريف قدره الجسيم وخطبه العظيم وبيان
خصايصه التى لم تجتمع قبل فى مخلوق وما بذل الله
تعالى به من حقه الذى هو ارفع الحقوق ليستيقن
اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا
ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتى
عليه وثنا الحسين بن محمد وثنا ابو عمر الكندى
وثنا ابو محمد بن عبد المؤمن وثنا ابو بكر محمد بن يحيى
ثنا سليمان بن اشعث ثنا موسى بن اسمعيل
ثنا حماد ثنا على بن الحكم عن عطاء عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار
يوم القيمة كما ادرت الى انك سائرة عن وجه
الغرض موذيا من ذلك الحق المفترض اختلسها
اختلسوها على استعجال لما المرء صدد من
البدن والملال بما طوقه الانسان من معالجة
المحنة التى ابتلى بها فكاد تستقل عن كل فرض
وتثقل ورد بعد حتى التقويم الى اسفل سافلين
ولو اراد الله تعالى بالانسان خيرا جعل شغله وهمه
كله فيما يجد غدا او يدع محله فليس ثم سوى احد
النعيم او عذاب الجحيم وكان عليه بحوطه
واستنقاذ منجيه وعمل صالح يستديمه وعلم نافع
يفيده او يستفيده جبر الله تعالى صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا ونوفر دواعينا فيما يحقنا ويقربنا الى الله
زلفا ويحظينا بمنه ورحمته ولما تبوبت البرية
وتدرجت تبويبه ومهدت تاصيله وتحصيله
تفصيله وانجبت حصره وتحصيله ترجمه
بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه
وسلم وحصرت الكلام فيه فى اقسام اربعة
القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى لقدر هذا
النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم فوله وقصد
وتوبيته الكلام فيه فى اربعة ابواب الباب الاول
فى بيانه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه

* الاخبار المقدرة وقوعها عن نكاية
اعداء الدين والتصبية الى فتحها على المسلمين وفيه
البرهان على ان القرآن

عشرة فصول الباب الثاني ٢٢ في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث ٦٤ فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع ٩٨ فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني ١٥٧ فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول ١٥٩ في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني ١٦٥ في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث ١٧٣ في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع ١٨٥ في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث ٢٠٦ فيما يستحيل في حقه صلى الله عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما تورده

فيه

فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند المنقضي لموعدته والمنفضي عن عهدته يشرق صدر المعدو للعين ويشرق قلب المومن باليقين وتمتلئ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويحرز الكلام فيه في بابين الباب الاول ٢٠٧ فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني ٢٥٦ في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع ١٧٤ في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول ١٧٤ في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني ١٩٣ في حكم شانيه ومودنيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه خمسة فصول وختمناه بباب ثالث ٢٠١ جعلناه تكملة لهذه المسالة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في عشرة فصول

وبتمامها ينتظم الكتاب وتتم الاقسام والابواب
ويلوح في غرة الايمان لمعة مشرقة وفي تاج التراجم
درة لخطيرة تروح كل لبيب وتوضح كل تحمين
وحدس ويشفي صدور قوم مؤمنين وتضدع
بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لوالله
الموهو الملك الحق استعين القسم الاول
في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى صلى الله
عليه وسلم قولا وفعلا قال الامام القاضي
الفقيه ابو الفضل رضي الله عنه لو خفاء
على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة
من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه
وسلم وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب
لو تنضبط الزمام وتنوبهه من عظيم قدره بما تجلل
عنه الوسنة والوقوم فمنها ما صرح به تعالى في
ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه
وادابه وحض العباد على التاسي به وتقلد ايجابه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى تم اظهر
وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء
الاوفى فله الفضل بداءة وعودا وله الحمد اولا
واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم
وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة

والبراهين

والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي
شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها
علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك
الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم
كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال
حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو
احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد بن محبوب
اثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ ثنا اسحق
بن منصور ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد عليه
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال
فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه
واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله
العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره
ونبوه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه
وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجملا المدح والثناء
وبعد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول

ليلة اسري به بصيغة المجهول والاسراء
كان ليلا في سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل
لسبع عشر من رمضان وقيل سبع وعشرين منه
ربيع الاخر وقيل من رجب وقيل انه كان في شوال
وكان ليلا لانه اول على الغرب وكنه صلى الله عليه وسلم
عمره سنة ونصف اشهر والاسراء والمعراج
كانا في ليلة واحدة بيقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق
نسبي

اي الى جبريل عليه السلام فحرن فاعلم
لشدته وبراق كغراب دابة فوق الحمار
ودون البغل سمي به لشدة سرعة كانه
من البرق خاطف او لشدة تلألؤ وبريقه
او بياضه وروي ان وجهه كوجه الانسان
وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور
وجسمه كالفرس وقال الثعلبي جلده كالابل
كالبغل كانيابها قوة وظهره كدرة بيضاء ول
جناحان في فخذيه يخفق حافره عند منتهى طرفه
كما ورد في الصحيح وهو مذكور وقال ابن اسحق
خلقا بين الحمار والبغل وهو من كل شيء
انثى وقوله تعالى او مخلوق بروبه الاخر وقال الكلبي
هو ملك خلق على صورة البراق لحمل الانبياء عليه
وقد قال انها افضل من البراق الذي حمل عليه
عيسى وقيل انها من دواب الجنة
وقيل هي التي حملت موسى ليلة الاسراء
وقيل هي التي حملت بلقيس من سبا الى
بيت الاول

من انفسكم الوية قال المسرقندى وقراءَ
بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم قال القاضى الامام ابو الفضل وفقه الله
تعالى اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين
من المواجهة بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا
من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون
صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك
النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن فى العرب
قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره
معنى قوله تعالى الا المودة فى القربى ولكونه من
اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه
نهاية المدح ثم وصفه بغذا بوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم
فى دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته
بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه
رؤف رحيم ومثله فى الاية الاخرى قوله
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم الاية وفى الاية الاخرى هو الذى بعث
فى الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم الاية وروى عن على ابى طالب

رضى الله

رضى الله عنه عن النبى عليه السلام فى قوله تعالى
من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس
فى اباى من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر
بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فقرهم الى
لكى يعلموا انهم لو نالوا الصفو من حدمته
فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم فى الصورة
البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه هو
الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر رحمن الله
محمدا صلى الله عليه وسلم برتبة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق
فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى فى الدارين
من كل مكروه والواصل فيها الى كل محبوب
الوتر وان الله تعالى يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم ومماتى
خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السرقندى
رحمة للعالمين يعنى للجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان
من القتل ورحمة للكافرين بتاخير العذاب

قال الكلبى كتب للنبى صلى الله عليه وسلم
مسماة ام فاوحيت فيهن سفاحا لا
شيا مما كانت عليه الجاهلية ومن ابن
عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى
وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى
حتى اخرجك نبيا يعنى رسولا

لعله اراد بام الكتاب الامهات التى يكون بينها
مسماة ام الى ان يبعث عليه السلام وبين عدنان
احد وعشرون ابا الى ان كانت بينه وبين
اسحاق وغيره ثمانية وعشرون ابا الى ان كانت بينه وبين
ادم سبعة وارجعون ابا يبلغ ام ابا او امهات اما
عدا امهات الامام وامهات امام ابيه الى ادم وقد تقدم
على القارى

قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين
اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من اهل الامم المكذبة
وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الريح شيء
قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله
عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن محمد
الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب
اليمين اي بك امنا وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والارض الاية قال كعب
وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وهو قوله مثل نوره اي نور محمد وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات
والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه
وسلم اذ كان مستودعا في الصلب كمشكاة صفتها
كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضيء اي كاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله

تعالى

تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال عز وجل قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى
اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا
القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالعلم
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه
حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى
لم يوجد فيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك
يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه
السلمي فدى وارفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال
القاضي رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه
صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه
للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل الامور

الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت
عليه بظهور دينه على الدين كله وحطه عنه
عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل
رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة
رفع الله عز وجل ذكره في الدنيا والاخرة فليس
خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك
يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت
تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلت
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن
محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا
ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك
الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولم يجز جمع هذا الكلام في غير حقه
عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقرأته على
الفقيه عنه قال ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد

بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود
السجستاني ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة
عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله
عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى
على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي
للتشريك والتراخي بخلاف الواو التي هي للتشريك
ومثله للحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت
او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع
بين الواسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية
وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على
يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روى في
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله
تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
اخرون لعلة التشريك وحضوا الضمير بالملائكة

وقد روا الوية ان الله يصلى وملوكته
يصلون وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه
قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله الوية روى انه لما نزلت هذه الاية
قالوا ان محمدا عليه السلام يريد ان نتخذه خلفا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى
قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته
زعما لهم وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله
تعالى فى ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية
والحسن البصرى الصراط المستقيم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته
واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردى وحكى
مكى عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندى مثله عن
ابى العالية فى قوله صراط الذين انعمت
عليهم قال فبلغ ذلك للحسن فقال صدق والله
ونصح وحكى الماوردى ذلك فى تفسير
صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد
وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم فى تفسير

قوله تعالى

قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
الوية انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد وقال سهل فى قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال
نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون الوية اكثر المفسرين على ان الذى
جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ صدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر وقيل على وقيل غير هذا من الاقوال
وعن مجاهد فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثانى فى وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الوية جمع الله له فى هذه الوية ضروبا من رتب
الاثرة وجملا اوصاف من المدحة فجعله شاهدا
على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى من
خصايصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى
توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق

حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله

ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو
بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن
اسحق ولا صخاب في الاسواق ولا مزين بالفحش
ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام
ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به

بعدا للكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد
العيلة واجمع به بعد الفرقة وائتلف به بين
قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث
اخر انا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن [illegible] اخبرنا به
صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة وقال طيبة امته الحامدة
لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الاميين وقد قال ابراهيم
من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله
منه انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا
لين الجانب ولو كان فظا غليظا في القول
لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله تعالى سمحا
سهلا طلقا بارا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل
نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس
وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدولا خيارا
ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك

خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على امهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله
جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون
نعم فتقول امهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء وبزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة
والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي
مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابي سنان
ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد
بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث**
فيما ورد من خطابه اياه مؤذنا بالمواطئة
والمخبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قبل هذا اقتضاء كرم

بمنزلة

بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون
بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي
عليه السلام بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه
ان يشفق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله
تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى يسكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته ببناط القلب قال بقطوته ذهب ناس
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بهذه
الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن
لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانتفاهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي
رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الراصد
بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن
في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عرض
المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية
والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة البديعة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل
المستغني عن الجميع وليستبين ما فيها من الفوائد

وكيف ابتداء يا لوكرام قبل العتب وآنس يا لعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء
بعد النزول وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة
لشرايط المحبة وهذه غاية العتايم ثم انظر
كيف بدأ بثنائه وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه
وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وقوله
تحويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية قال علي رضوان الله عليه قال ابو جهل
للنبي عليه السلام انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذب
قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال
ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية
منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام
والطافه في القول بان قر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة
الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسبة

الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون فما شاء من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون
من علم الشئ ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره
عن من كان قبله ووعده النصر بقوله ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال
الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا
بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب
وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائص
ونزل الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود
يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا
بايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل
يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى
بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بحياة محمد
صلى الله عليه وسلم واصله بضم العين من العمر
ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقاء

يا محمد وقبل وعيشك وقيل وحياتك وهذه
نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال
ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً
اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
تعالى اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن
الحكيم الايات اختلف المفسرون في معنى يس
على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء
ذكران منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة
لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس
يا انسان اراد يا محمد انسان محمداً صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من اسماء الله وقال الزجاج
قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم
اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض
بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال
والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر من السماء
صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه
من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف
القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء
قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بها

وقال ابو الجوزاء اقسم الله بحياة
اصغر ولده

اقسم الله تعالى

اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين
بتوحيده الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه
اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة
في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل
من قال انه ياسيد ما فيه وقد قال عليه السلام
انا سيد ولد ادم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا
البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا
لم تكن فيه بعد حرز جبل منه حكاه مكي وقيل
لا زائدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال اوحل
لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اى تحلف لك
بهذا البلد الذي شرفته بكانك فيه حياً
وبيركتك ميتاً يعني المدينة والاول اصح وان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا
البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال آمنها الله تعالى بمقامه
فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال
تعالى ووالد وما ولد قال ارادم فهو عام
ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي اشارة ان الله تعالى
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به
في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال
ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها

ارجو منها ولو يرضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الوية
قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له
او هداية الناس به على الخلوف التفاسير
ولو مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه
من القناعة والغنا ويتيما فخدب عليه عمه
واواه اليه وقيل اواه الى الله تعالى وقيل
يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا
واوى بك بتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث
فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص لم عام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله الفؤاد
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
عليه السلام وقد قيل في قوله والسماء والطارق

وما ادراك

وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم
هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي
تضمنت هذه الويات من فضله وشرفه العدد
ما يقف دونه العدد واقسم جل اسمه على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وتصديقه فيما تلى
وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة
الوسا وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى
وقد نبه سبحانه وتعالى على مثل هذا في اول
سورة الوسا ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت
لو تحيط به العبارات ولو تستقل بحمل سماته
ادناه العقول رمز عنه تعالى بالويا والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده
ما اوحى وهذا النوع من الكلام تسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحي والوشارة وهو عندهم
البلغ ابواب الويجاز وقال تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى انحصرت الوفهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت احلام في تعيين
تلك الويات الكبرى قال الفاضي لو لفضل
رحمه الله واشتملت هذه الويات على اعلام الله
تعالى بتزكيه جملته صلى الله عليه وسلم

16

ارجو منها ولو يرضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من اوليته
قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له
او هداية الناس به على الخلوف التفاسير
ولوما له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه
من القناعة والغنا ويتيما فحدب عليه عمه
واواه اليه وقيل اواه الى الله تعالى وقيل
يتيما لو مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا
واوى بك بتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودعه ولو قلوه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بشره
واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث
فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص لعام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
عليه السلام وقد قيل في قوله والسماء والطارق

وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم
هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي
تضمنت هذه الويات من فضله وشرفه العدد
ما يقف دونه العدد واقسم جل اسمه على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا
وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة
الوسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى
وقد نبه سبحانه وتعالى على مثل هذا في اول
سورة الوسرا ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت
لو تحيط به العبارات ولو تستقل بحمل سماعه
ادناه العقول رمز عنه تعالى بالويا والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده
ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحي والوشارة وهو عندهم
البلغ ابواب الويجاز وقال تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى انحصرت الوفهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت احلام في تعيين
تلك الويات الكبرى قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله واشتملت هذه الويات على اعلام الله
تعالى بتزكيه جملته صلى الله عليه وسلم

وعصمتها من الوقات فى هذا المسرى فزكى
فواده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله
تعالى ما كذب الفواد ما راى ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم
اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند ربه
ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى ممكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى
فى السماء امين على الوحى قال على بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو
جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعنى
محمدا صلى الله عليه وسلم قيل راى ربه وقيل
راى جبريل فى صورته وما هو على الغيب بضنين
اى بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل
بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد
صلى الله عليه وسلم بانفاق وقال تعالى ن
والقلم وما يسطرون اقسم تعالى بما اقسم به
من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه
وسلم مما تخصه الكفرة به وتكذيبهم له وانه
وبسط املله بقوله محسنا خطابه مات سنة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة

واعلى

واعلى درجات الوداب فى المحاورة ثم اعلمه
بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع
لو باخذه عدو لو يمتن به عليه فقال وان لك
لاجرا غير ممنون ثم اثنا عليه بما منحه من هدايته
وهداه اليه واكد ذلك بتيمنا للتمجيد بحرفى
فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل
الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك
همة الا الله قال الواسطى اثنا عليه بحسن قبوله
لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير
اليه ثم اثنا على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اعم
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا
بما وعده به من عقابهم ونوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثنوث الويات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعدم حيائه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه عليه السلام
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه
بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير
الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق تمام
شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت فى ديوان

صلى الله عليه وسلم الفصل السادس
فيما ورد من قوله تعالى في حقه عليه السلام
مورد الشفقة والكرام قال تعالى طه
ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمائه
عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل
معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر
يا هادي وقيل هو امر من الوطئ والهاء كناية عن الارض
اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا
عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يكلفه من السهر والتعب
وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابو الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت
ثنا ابو ذر الحافظ ثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم
بن حريم الشاشي ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم بن
القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع اخرى
فانزل الله تعالى طه يعني طئ الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القران لتشقى ولكن خفاء بما في هذه كله من الوحي
وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام
كما قيل او جعلت فواتح الفصل بما قبله ومثل هذا

من قط

من قط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا
او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشاء
ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية
قال مكي سلاه تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى
من المشركين واعلمه ان من مضى على ذلك
يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله
بما اخبره عن امم السالفة ومقالها لانبيائهم
قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله
من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى
فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي فيما
ما بلغت وابلوغ ما حملت ومثله قوله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على

اذا هم فانك بحيث نراك وتحفظك سلامة الله
بهذا فى اى كثيرة من هذا المعنى الفصل السابع
فيما اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز من عظيم قدره
وشريف منزلته على الانبياء وخطوة رتبته
من ذلك عليهم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله
من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى اختص الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره
آية بينة وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون
اخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا وذكر له
محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادرك ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه واخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله
نبيا من ادم فمن بعده الا واخذ عليه العهد فى محمد
صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدى وقتادة فاى بضمت فضله من غير
وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكذلك روى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام

وضعته اى رتبته الرفيعة عنده
والعرب يقول المنزلة فى الحسى
والمنزلة فى المعنوى كالمكان والمكانة

بكاية النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى
انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى اولهم
فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون
ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
قال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث
فلذلك وقع ذكره متقدما هنا قبل نوح وغيره
قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا عليه السلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله
عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم
درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
الى الاحمر والاسود واحلت له الغنايم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى
فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى الله
عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله
تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة فى كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول

وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله تعالى
وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد
صلى الله عليه وسلم اى ان من شيعة محمد لابراهيم
اى على دينه ومنهاجه واختاره المقرء وحكاه عنه
مكى وقيل المراد نوح عليه السلام الفصل الثانى
فى اعلام الله تعالى خلقه بصلوته عليه وولوجه
ودفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وماكان الله
ليعذبهم وانت فيهم اى ماكنت بمكة فلما خرج النبى
صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى فيها من بقى
من المؤمنين نزل وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله تعالى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله
وهذا من بين ما يظهر بمكة نبيه صلى الله عليه وسلم
ودرأ به العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون
اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم
عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكمهم
فيهم سبيهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
وفى الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضى
الشهيد ابو على رحمه الله بقراءتى عليه ثنا ابو الفضل
ابن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا ثنا
ابو يعلى ابن زوج الحرة ثنا ابو على السنجى ثنا محمد
بن محبوب المروزى ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان

بن وكيع

بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن
مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة عن
ابى موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزل الله على امانين لامتى وماكان الله
ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار
ومن ذلك قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابى
قبل منا البدع وقبل منا الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الامان الاعظم ما عاش ومادامت سنته
باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا
البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبى الاية اعلم ان الله تعالى فضل
نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته عليه ثم بصلوة
ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء اول
قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى
فى الصلوة على هذا اى فى صلوة الله على
وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة
والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله
تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد وفق
النبى صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة

عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر
حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير
حروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله
لنبيه قال ليس الله بكاف عبده والها هاد
قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده
قال ايدك بنصره والعين عصمته له قال
والله يعصمك من الناس والصاد صلوته عليه
قال ان الله وملئكته يصلون على النبى وقال
تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية
مولاه اى وليه وناصره وصالح المؤمنين
قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
المؤمنون على ظاهره الفصل التاسع فيما
تضمنته سورة الفتح من كرامته قال الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم
تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه
وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر
الوصف عن انتهائه اليه فابتدأ جل جلاله بما
بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وعليته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وبما يكون قال
بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك
مغفور لك وقال مكى جعل المنة سببا للمغفرة
وكل نعمة عنده لوالده غير منة بعد منة وفضل

بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع
من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل
برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه
وفتح اقرب البلاد عليه واحبها له ورفيع ذكره
وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة
ونصره النصر العزيز ومنه المؤمنين بالتكينة
والطمانينة التى جعلها فى قلوبهم وبشارتهم بما لهم
بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والتزلف لديهم
وهلاك عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وتبعيدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصائصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب
وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل
محذرا من الضلالة ليؤمن بالله ثم به من سبقت له
من الله الحسنى ويعزروه اى يجلونه وقيل ينصرونه
وقيل بالغوك فى تعظيمه ويوقروه اى يعظمونه
وقرا بعضهم ويعزروه بزاين من العز والوكز
والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال ويسبحوه فهذا رجع الى الله تعالى قال
ابن عطاء جمع للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه
السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعظم

الوجاية والمغفرة وهي من اعلوم المحبة وتمام
النعمة وهي من اعلوم الاختصاص والهداية
وهي من اعلوم الولوية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلوغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته
وتنبيح به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته
الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وبه ولادم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله بيعتهم
اياك بيد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل
قوة الله وقيل ثوابه وقيل منه وقيل عقده
وهذه استعارة وتخييل في الكلام وتاكيد
لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه
وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في
الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية

حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه
الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم ومارميتهم
انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالرعب اي ان منفعة
الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالوسم الفصل العاشر فيما
اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه
ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك
ما قصه الله تعالى من قصة الاسرا في سورة
سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وشانه وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر
الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله
وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم للهلكة وخلوصهم نجيا في امره والاخذ
على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصته

الغار وحديث الهجرة ومنه قوله انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر
اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر
في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم
تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى
ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد والذي
لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم قيل السبع المثاني اطوال الاول
والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني
ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب امثال
واعداد نعم واتيناك بناء القرآن العظيم وقيل سميت
ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل لله
استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له
دون سائر الانبياء وسمي القرآن مثاني لان القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والتكينة وقال تعالى انزلنا اليك الذكر
الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الاية قال القاضي رحمه الله فهذه

من خصايصه

من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم ونفت
محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال
تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين
من انفسهم ايما انفذه فيهم من امر ونهي ماض عليهم
كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره
اولى من اتباع رأي النفس وازواجه امهاتهم اي هن
في الحرمة كالوالدات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة وخصوصية ولهن له ازواج في الجنة
وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته
المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل
بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها
اشارة الى اجمال الرؤية التي لم يجملها موسى
صلى الله عليهما وسلم الباب الثاني في تكميل الله
تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه تنسقا اعلم انها المنح
لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث
عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال
والجمال والكمال في البشر نوعان ضروري
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا

23

وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله تعالى فانها هي
على قسمين ايضا منها ما يختص بواحد بالوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري
المحض منها ليس للمرء فيه اختيار ولو اكتسبا مثل
ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة
حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعو
ضرورة حياته اليه من غذائه ولبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصدها المقوي
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود
الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخرية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار
والرحمة وحسن الاداب والمعاشرة واخواتها وهو
التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخيرة
ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لو تكون فيه فيكتسبها ولكنه لو بدان يكون فيه
من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه
ان شاء الله وتكون هذه الاخلاق دينية اذا لم تزد

رحمه الله

وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن
وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة
وان اختلفوا في وجب حسنها وتفصيلها **فصل**
اذا كانت خصال الكمال والجلول ماذكرناه
ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او
اثنين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب
او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال وتتقرر
بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو
مند عصور خوالي ودهم بوالي فما ظنك بعظيم قدر
من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لو بدا اخذه
عد ولو يعبر عنه مقال ولو نال بكسب او
حيلة او تخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والوسيلة والرؤية والقرب والدنو والوجه
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة والسلام
والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم
ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطاء الرضا والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم

وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر
وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة
وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم
وتزكية الأمة والدعاء الى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع
الوصر والوغلول عنهم والقسم بأسمه واجابة دعوته
وتكليم الجمادات والبهم واحياء الموتى واسماع الصم
ونبع الماء بين اصابعه وكثير القليل وانشقاق
القمر وردّ الشمس وقلب الاعيان والتصرف في الكون
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا
وابراء الاكمه والعصمة من الناس الى ما لو جمع به
محتمل ولو بحيط بعلمه الا ما منحه ذلك ومفضله به
الا له عزه الى ما اعدله في الدار الاخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم وفصل ان قلت اذا كان الامر
لوخفاء عن القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم
اعلو الناس قدراً واعظمهم محلاً واكملهم محاسن
وفضلاً وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهباً جميلاً ستوفى الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلاً فاعلم نور الله قلبي
وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي
وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي

هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات
محاسنها دون خلوف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة
وجمالها وتناسب اعضائه وحسنها فقد جاءت
الاثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك
من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة
والبراء بن عازب وعايشة ام المؤمنين
وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معبقيب
وابي الطفيل والعداء بن خالد وحريم بن فاتك
وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه
وسلم كان ازهر اللون ادعج اكحل اشكل اهدب
الاشفار ألجح ارجح افنى اقلح متراكد الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل
الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة
القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن بما شبه احد
ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر اذا افترضاه حكما افتر عن مثل

وهو ابو انس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش عشرين سنة وتوفي سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مائة سنة وقيل ابن مائة وعشرة وقيل ابن مائة وثلاث سنين وقيل غير ذلك وروى عنه الزهري وثابت البناني وغيرهما

25

سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا انكلم زي
كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا
ليس بمطهم ولا مكلثم تماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة سوداء
في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيا احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري
في وجهه واذا ضحك يتلالو في الجدر وقال
جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله
عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض
ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قرب وفي حديث ابن ابي هالة
يتلالو وجهه تلولو القمر ليلة البدر وقال
علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه
نكت ما جاء فيها وجملة ما فيه الكفاية في المقصد
الى المطلوب انشا الله تعالى وختمنا هذه الفصول
بحديث جامع لذلك نقف عليه هنا انشا الله تعالى

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه

وزاهته عن الاوقذار وعورات الجسد فكان
قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره
ثم ممتها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر
وقال نحن احق بذلك على النظافة حدثنا سفين
بن العاص وغير واحد قالوا نا احمد بن عمر
نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي
نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا جعفر بن
سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله
عليه وسلم مسح خده فوجدت ليده بردا وريحا
كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها
بطيب او لم يمسها بصانع المصانع فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت
امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله
في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهوية ان تلك
كانت رائحة بلا طيب صلى الله عليه وسلم

26

وروى المزني عن جابر رضي الله عنه اردفني
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان يتم علي مسكا وقد حكى بعض
المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رائحة
طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد
كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك
تاتي الخلاء فلا ترى منك شيئا من الاذى فقال
يا عائشة اوما علمت ان الارض تبلع ما يخرج
من الانبياء فلا ترى منه شيئ وهذا الخبر وان لم يكن
مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول
بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر الحسن بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم
منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يجره
ولو غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه
غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت
انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت منه رائحة طيبة لم يجد

مثلها قط

مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه
حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتشويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثل شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه
وقد روى نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله
فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحدث
هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني
مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه
المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن
وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه
من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه
شيا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره
وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع
السرة وروى عن امه امينة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فط وعن علي رضي الله عنه قال اوصاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تغسله غيري فانه لا يرى
احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع
غطيطه ثم قام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه
كان صلى الله عليه وسلم محفوظا وامنا
وفور عقله وذكائه لبه وقوة حواسه وفضل
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلوفرة
انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل بقرة
امر بوا من الخلق وظواهرهم وسياسته للخاصة
والعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضيره
عما افاضه من العلم وفرقه من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب
منه لم يمتر في رجحان عقله ونقوب فهمه لو قيل
بديهة وهذا لا يحتاج الى تقريره لتحققه فقد قال
وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية
اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يقسم بين
الناس من بدا الدنيا الى انقضائها من العقل
في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كجمجة رمل
من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه

وهو نور او قوة اودعه الله في الانسان يميز به بين الاشياء وبها فاسبر اخص كالعلوم والعلوم الضرورية وعلى محله القلب والدماغ قولان واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق

والصر وهو حبس النفس اذا اصابته مصيبة

اخص صورته بشاشة الوجه وطلاقة وجهه اعضائه وضحا لونه واعتدال قده وهو للروح وجهه على الجملة

كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه
السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه
عن انس في الصحيحين وعن عائشة رضي الله
عنها مثله قالت زيادة زادها الله اياها
في جنته وفي بعض الروايات اني لانظر من وراء
كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر
من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي
ابن مخلد عن عائشة قالت كان النبي صلى الله
عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله
عليه وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشي
حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى
عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه
كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن
حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم
والظواهر تخالفه ولا حاجة في ذلك وهي
من خواص الانبياء وخصائصهم كما اخبرنا ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن
المقرى الفرغاني حدثنا ام الفضل بنت ابي بكر
عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني
نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان

ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا هاشم ثنا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن ثابت عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تجلى الله تعالى لموسى
عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولو يبعد على هذا
ان يخص بنبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الوفاء والخطوة بما راى
من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه
صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان
شديدا وعاوده ثموث مرات كل ذلك يصرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفي ان ضحكه كان
تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى
تقلعا كانما يحط من صبب فصل واما فصاحة
اللسان وبلوغة القول فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
مذع وايجاز مقطع وبصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم
وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب بخاص

كل امة

كل امة منها بلسانها ونجاورها بلغتها وبيارها
في منزع بلاغتها حتى كان كثيرا من اصحابه يسئلونه
في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من
حديثه وسيرة علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز وتجد
كلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن بن حارثة الغلبي والوشحث بن نهير
ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من افيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم
فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون عفوها
وتزرعون عفاءها لنا من ذفرهم وصرامهم
ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح
وقوله لهذه اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وابعث راعيها في الدثر واجزل له النمو
وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة
كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد وداعي
الرسل ووضايع الملل لم يلحظ في الزكوة
ولم يلحد في الجزية ولم يثنا قبل عن الصلوات
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الفصيل

ما دخل ذات السنام من البقر والغنم والعين الفتية
الى الحامل القليل الاداة له
والمخاض اجده لها حتى يصير كثيرا

لو يمنع شرحكم ولو يقصد طلحكم ولو يخبئ درككم
ما لم تضروا الرقاق و تاكلوا الربا ومن اقر
فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه لوايل بن حجر الى الوفال العباهلة والورأ
المشايب وفيه وفى ليتبعة شاة لو مقورة
الوليط ولوضان وانطوا النتيجة وفى السيوب
الخمس ومن زنا منكم بكرا فاصفعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنا منكم ثيب فضرجوه بالوضايم ولو
توصيم فى الدين ولوغة فى فرايض الله وكل مسكر
حرام ووايل بن حجر يزفل على الوفال ان هذا
من كتابه لونس فى الصدقة المشهور لما كان كلوم
هولو، على هذا الحد وبلوغهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبينن
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا
هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة قال فكلمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله
فى حديث العامرى حين سالة فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم سال عنك اى سل عما شئت
وهى لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ذهب
الناس فيها المدوّنين كل مجمع فى الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يساوى

بلوغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى
بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولو خير
فى صحبة من لو يرى لك منهما ترى له والتابى معاد
وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا
فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان اجبتكم الى واثركم
منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله لحبيب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله فى بعض
دعائه اللهم انى اسئلك رحمة من عندك تهدى بها
قلبى وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى
وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى
وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء
اللهم انى اسئلك الفوز فى القضاء ونزل الشهدا

وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى مادونه
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لو خلا
انه نزل من ذلك مرقبة لو يقاس بها غيره وجارفها
سبقاً لو يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي
لم يسبق اليها ولو قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها
كقوله حمى لوطيس ومات حتف انفه ولو يلدغ
المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره
في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه
صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ما رأينا
الذي هو افصح منك فقال وما ينبغي وانما
انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال
مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد
فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
ورونق كلامها الى تأييد الوحي الذي مده
الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد
في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن
منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة
صلى الله عليه وسلم فصل وأما شرف نسبه
وكرم بلده ومنشئه مما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه
ولا لبيان مشكل ولو خفي شيء فانه صلى الله عليه وسلم

نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف
العرب واعزهم نفراً من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة
من اكرم بيوت الله على الله وعلى عباده حدثنا
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله
ثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر
عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق
وابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي
كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير
البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً
وخيرهم بيتاً وعن واثلة بن الاسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال
الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر
رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم

ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن
ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله
تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام تسبح ذلك
النور وتسبح الملوك بتسبيحه فلما خلق الله
ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض
في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني
من اصلاب الكريمة الى ارحام الطاهرة حتى
اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم فصل واما ما يدعوا
ضرورة الحيرة اليه مما فضلناه فعلى ثلثة
ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل
في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما
والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة
وشريعة كالغذاء والنوم ولم يزل العرب
والحكماء تتمادح بقلتها وتذم بكثرتها لان كثرة
الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره

وغلبة

وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة
جالب لادواء الجسد وخثارة النفس ومنتن
الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس
وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة
مسبب للكسل وعادة الغمر وتضييع العمر
في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة
وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء
السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح
الحديث واثار من سلف وخلف مما لو يحتاج
الى استشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على انشهاد العلم به وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالوفر هذا
ما لو يقع من سيرته وهو الذي امر به وحض
عليه لو سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا
ابو الفضل الوصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ
ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله
بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن
جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم

32

وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولون كثرة النوم
من كثرة الشرب والاكل قال سفين الثوري
بقلة الطعام تملك سهر الليل وقال بعض
السلف لو تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتقذروا
كثيرا فتحسروا كثيرا وقد روى عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على
ضيف اى كثرة الايدى وعن عايشة لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه
كان في اهله لو يسالهم طعاما ولو يشتهيه اطعموه
اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض
على هذا بحديث جريرة وقوله الم ار البرمة فيها
لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ هم
لم يقدموا اليه مع علمه انهم لو يستاثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه
من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة نامت
الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يا كل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فلا اكل متكيا والاتكاء هو التمكن للاكل

والتقعد

والتقعد للجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يسند على الوكل ويستكثر منه
والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه
للاكل جلوس المستوفز المتقعي ويقول انما انا
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس بمعنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه
وسلم كان قليلا وشهدت بذلك الاخبار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وكان نومه على جانب الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا
للقلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيشتد عمى
ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام
النائم على اليمين تعلق القلب وقلق فاسرع
الافاقة ولم يعرض الاسترخاء

فصل والضرب الثالث

ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة
فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة
ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال
ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء

مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم تناكحوا فاني مباه بكم الامم
ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر الذين بنيه عليهما صلى الله عليه وسلم
بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج حتى لم ير العلماء مما يقدح في الزهد
قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان
زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري
كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن
وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل
وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله عليه بالخبر عما تعده فضيلة وهذا
عيسى عليه السلام قد تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له
بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء
وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها
كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل

في كونها

في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى
عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الوقت
خاطفة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا
وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي
لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك
عبادة لتخصيصهن وقيامه بحقوقهن واكتنافه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ
دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر
من النساء والطيب انما هما من امور دنيا
غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته
للفوائد التي ذكرناها في التزويج والقاء الملك
في الطيب ولانه ايضا مما يخص على الجماع ويعين
عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين
لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين
فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى
عيسى ويحيى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن
اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا

ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على
نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى
عشرة قال وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن
طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين
رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه
السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان
في ظهر سليمان عليه السلام ما مائة رجل وكان
له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش
سبع مائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود
عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع
وتسعون امراة وتمنت بزوج اوريا مائة وقد نبه
على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس
عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع
بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه
عظم في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى

عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن
افاته كثيرة فهو مضر ببعض الناس لعقبى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد
في الشرع مدح الخمول وذم الغلو في الاوصاف
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند
الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذونه اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا
واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره
في ذلك معروفة كان يهنئ ويفرق لرؤيته
من لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك الحديث فانما
عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة
وانا في رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فاما هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم
ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
باسره فصل واما الضرب الثالث وهو ما
الحالوت في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضل
لوجله لكثرة المال وصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لوفور عتادها توصله به الى حاجاته

ونمكن اغراضه بسببه والمفلس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له
في مهماته ومهمات من اعتراه وآمله وتصريفه
في مواضعه مستريا به المعالي والثناء الحسن
والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرف في وجوه البر وانفقه
في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة
كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجه وجوهه حريصا على تجميعه
عادكثرة كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم
على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل
ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل
الى غيره وتصريفه في مصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولو وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة
ولو غني بالمعنى ولو ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس
في يده منه شئ والمنفق ملي عندي بتحصيل فوائد
المال وان لم يبق في يده من المال شئ فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال
تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد

واحلت له

واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه
في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وخلبت له بنو اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لو يحيى لملوك الربيعة وهادنه جماعة
من ملوك الروم فما استاثر بشئ منه ولو
امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به
غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي
احدا ذهبا يبيت عندي منه دينارا الا دينارا
ارصده لديني وامنه دنانير فرقها ولبقيت
منها بقية فدفعها البعض نسائه فلم ياخذه يوم
حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت وما
وذرغه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته
وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه
وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فليس
في الغالب السملة والكساء الخشن والبرد الغليظ
ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة
في الملابس والتزين بها ليست من خصال المرء
والجملة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه للغير
مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لو يودي
الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك

وغاية الفخر فيه فى العادة عند الناس انما يعود
الى الفخر بكثرة الموجود ووفور المال وكذلك
البناء فى بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الرتب
وخدمه وفرشه وبانية وتملك الارض وحيثى اليه
ما فيها فترك ذلك زهدا ونزها وهو حائز لفضيلة
المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت
فضيلة زائد عليها فى الفخر ومعترف فى المدح باضدادها
عنها وزهده فى قنيها وبذلها فى مظانها فصل
واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة
والاداب الشريفة التى تفوق جميع العقلاء
على تفضل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها واوعدها
ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف
بعضها بانه من اجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق
وهو الوعدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كان
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على اوسطها فى كمالها
والوعدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه
بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة
رضى الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويتخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن

على بن

٣٦

على بن ابى طالب مثله وكان فيما ذكر المحققون
مجبولا عليها فى اصل خلقته واول فطرتهم بحيث
باكتسابه ولو رياضة او بجود الهى وخصوصية
ربانية وهكذا سبيل الانبياء ومن طالع سيرهم
متندصابهم الى سبعتهم تحقق ذلك كما عرف
من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم
عليهم السلام بل عرفت فيهم هذه الاخلاق
فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة
قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
اعطى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله فى حال
صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال
الصبيان لم تلعب فقال اللعب خلقت وقيل
فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدق وهو فى بطن امه فكان
يحيى يقول لمريم انى اجد ما تقولين حقا وانت
تحية له وقد رضى الله تعالى على كلام عيسى لامه
عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزنى على قراءة
من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادى
عيسى ونص على كلامه فى مهده فقال انى
عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وقال
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر
من حكم سليمان وهو صبى يلعب فى قصة المرجومة

وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه

وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وعزرة وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاءه بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلاله ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر سنة وقيل اوحى الى يوسف وهو صبي عند ما القي في الجب بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الوحي الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السما وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم يكن شئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين

فعصمني

فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الوهم لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرف الغايات المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها غاية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او البشاشة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فاكتساب كل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف التكلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الاخلاق يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء وهذه احدى

المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة ولكنا
نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى
فصل واما اصل فروعها وعنصر ينابيعها
ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة وينفرع عن هذا ثقوب الراي
وجودة القضية والاصابة وصدق الظن
والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه
منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذا جلاله يجله
من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع
مجاري احواله واطراد سيره وطرايق جوامع كلمه
وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكماء وسير الامم الخالية واياامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل
الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة
واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرايض والنسب وغير ذلك مما ستبينه في
مضاعفاته ان شاء الله دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة

كتب

كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي
امي لم يعرف شيئا من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان امره وعلمه وشرفه بعلم ذلك بالمطالعة
والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلو نطول بسرد الوقايع
واحاد القضايا اذ مجموعها ما لو باخذه حصر
ولو يحيط به حفظ جامع ويجب عقله كان
معارفه صلى الله عليه وسلم الى سايرما علمه الله
واطلعه عليه من علم ما يكون لو ما كان وعجايب
قدرته وعظيم ملكونه قال تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وحرست الالسن
دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل
واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة
والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركة
والاحتمال حبس النفس عند اللوازم والموذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر
بالعرف الاية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عن تاويلها
فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال

39

يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى له
واصبر على ما اصابك الونية وقال ليعفوا وليصفحوا
الونية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولاخفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله
وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لو يزيد مع كثرة
الوصبا وعلى اشراف الجاهل الجهلا حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن وافد القاضي
وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى
مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما
كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى
فينتقم لله بها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون وروى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت
وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال

رب

رب لا تذر على الارض من الكافرين ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك
واذي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله عنه انظر ما في هذا
القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم ينتصر صلى الله عليه وسلم على التسرع عنهم
حتى عفا عنهم واشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل
فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في
ان بين له ما حمله ووعظ نفسه وذكرها بما قاله
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل لقد خبت وخسرت
ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما
غورث بن الحارث ليقتله ورسول الله صلى الله
عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس
قايلون في غزوة فلم يبنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء

إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
ومن أعظم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد أعرافها على الصحيح
من الرواية وأنه لم يواخذ لبيد بن الأعصم أو غيره
وقد اعلم به وأوحي إليه بشرع أمره ولو عنت عليه
فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله
بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم في جهنم قولا وفعلا ولا قال لمن أشار
بقتل بعضهم لو يحدث إن محمدا يقتل اصحابه
وعن أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابي
بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية
البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي
على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال احمل الرجل ما مال الله
وانا عبده ثم قال عليه السلام ويقاد منك
يا اعرابي ما قلت لي قال لا قال لم قال لانك
لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الاخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة

من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا
ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما
ولا امرأة قط وحي اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط
علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجذب ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع
ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه
وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر
تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلاثة ايام وامر عمر بقضيه
ماله وبزيده عشرين صاعا لروعه فكان
سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي
من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في وجه محمد
الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل عليه الا حلما فاخبره بهما فوجده
كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام
وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان يأتي
عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من

على مقاساة فرشتي وأذى الجاهلية ومصابرة
الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال اسافتهم
وابادة خضرائهم فازاد على ان عفا وصفح وقال
ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انزلوا هبط تمانون رجلا من السفح صلاة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا فاعتصم صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال
لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان طلب اليه
الوحراب وقتلي عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولوطيفه في الفول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك
ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي
ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضا صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود
والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة
وتفرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الفعال
بطيب النفس فيما يعظم خطره وتنفعه وسموا
ايضا عجرفية وهو ضد الذالة والسماحة
البخاء في عما يستخفه المرء فيعد غيره بطيب نفس

بفتح خاء وضاد معجمتين بعدهما
واو فالف فمفروزة اي اهلاكا
جاءتهم او تغير بقتل جمعهم على الفور

فالابادة
بكسر الهمزة مصدر ابادة الله
اي اهلكه وخضراؤهم وسوادهم
ومعظمهم والمعنى لا يستقرون في ديارهم
وذهابهم وفنائهم

اي الاتعيب والاتوبيخ والاتثريب
بفتح ثاء مثلثة فسكون همزة ففاء
فتحتية فجيم وقطع اشرهم وهي في
الاصل فرقة تخرج للاستيلاء على الغير
الندم فتكوي فتذهب فيقولون
في المثل لسنا حل الله كما اذ هبنا وروي
اي اذ كلبد كما اذ هبنا وروي
في مستصلا بالاضافة ونصب
ع فتحتم والعقد
دابرهم من اصلهم وفصلهم
اي بالغ في النطق والوعظ
حيث قال له
يا ابا سفيان ايدر تعالى
توبيخا عليه اذ لم يجزم به
بعد وامر مسلم فاليد به فقبل
بجمع بمرجح لمن رفع في
هلكة لا يستغفها او قتل وبا
با رحمة وويل يا هلكة
وسبب الاستغفار على

وهو

وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الاخلاق
وتجنب اكتساب ما لو يحمد عليه وهو الجود وهو
ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لو لوازي
في هذه الخصوص الكريمة ولو يبارى بهذا وصفه
كل من عرفه حدثنا القاضي اشهيد ابو علي
الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي
ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد
السرخسي وابو اسحق الطبلي قالوا ثنا ابو عبد الله
الغربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان
عن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال
لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عيينة
كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه
جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين
جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى عبرا واجد
مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة
وهذه كانت حالة ابي خلقه صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبعث وقد قالت له وكرقة انك
تحمل الكل وتكسب المعدوم وترد على هو ان على نوائبه الدهر
وكانت تواسيه الوف واعطى العباس من الذهب

ابو السخاء والذي يعم الجود على الدوام

وهو في النصيحة والانفاق والامساك
والظاهر انه حال اعتد البين
الفعل والاسراف فالطرفة بعين
الا نصاف ولا تدخل في حد
عدوه المصحف عند اشتراء الربيع
الاخلاق فيه ارتكب على الدوام
بصيغة المفعول فيهما وهما
من الرشيد غاربته واجاز بعضهم
وانخذل اي لا يقاوم ولا يقابل
ولا يثابل به احد على الدوام
بصيغة المجهول وهو بالياء الموحدة
والراء اي لا يعارض في هذه الشمائل
الحميدة والفضائل الوديدة و
غيرها من الاحوال السعيدة
كما اشار اليه هذه الزيدة بقوله
البديعة بعقله فاق النبيين في
خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم
ولا حلم

الكبرياء الموجدة على الله
الحاجة لكرم نفسه وشرف
طبعها وتوكله على ربه في جده

بفتح الكاف وتشديد اللام
اي الثقل من العيال والنعيم
ومن لا قدرة له من ضعف الحال
وفي التنزيل هو مولاه اي
اي المتثقل في المؤنة ضعيف في
الصنعة

ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد
قسما بالا حتى فرغ منه وحاجة رجل فسأله فقال
ما عندي شئ ولكن ابتع علي فاذا جاء شئ قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل
من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال به هذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معمر بن غفراء قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب
يسوطيقا واخر رغب برديقا فاعطاني
مثل كفه حليا ودراهما قال ابن كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبز يجوده صلى الله
عليه وسلم وكرهه كثير وعن ابي هريرة قال اتى
رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاسلف له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل بنقاضاه فاعطاه وسقا وقال لصفه
قضاء ونصفه نائل اي عطاء **فصل واما الشجاعة**
والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند
اسيد عليها الى الموت حيث يحمد فعلها دون
خوف فكان صلى الله عليه وسلم متهيأ بالمكان الذي

لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح قليل
لا يدبر ولا يدبر جرح وما يجاع الا وقد حصيت
قوة وحفظت عنه جولة سواه **اجيزنا**
ابو علي الحداد فيما كتب لي قالا لقاضي تراج
ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو ذر الهروي ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار
ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء
وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يفر قال لقد رايته على بغلته
البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره
انا ابن عبد المطلب قيل فاذ ذاك ابو سفيان احد كان
اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما
التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض
بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة
ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا
للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا غضب ولو بفضل له لم يقم
لغضبه شئ وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا اجود

عليه وسلم هكذا اى خلوا طريقه وتناول الحربة
من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطاير واعنه تطاير الشرار عن ظهر البعير اذا
انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
وقيل بل كبا به فرسه فصرعه ورجع الى قريش
وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون لوما بأس بك
فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس
قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف وهو منصرفهم الى مكة وفصل واما الحياء
والوعضاء فالحياء رقة تعتري وجه الرجل
عند فعل ما يقبح وكذلك الوعضاء يقال
من فعله والوعضاء النقائص عامة يريد
بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم
الناس حياء واكرمهم عن العورات اغضاء
قال الله سبحانه ان ذلكم كان يوذي النبي
فيستحيي منكم الآية حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقرائي عليه ثنا ابو القسم خاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله ابنا شعبة
عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد
الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد الناس حياء من العذراء في خدرها

ولو اجود ولو ارضى من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال علي رضي الله عنه اما كنا اذا حمي البأس
ويروى اشتد الناس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع
هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا
العدو لقربه منه وعن انس قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس
لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد
سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي
عري وفي عنقه السيف وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم
كتيبة لو كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف
يوم احد وهو يقول ان محمدا لو نجوت ان نجا فقد كان
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين اقدني
يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة
اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد
ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله

وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر ولم يسأله
احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد
ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى
عنه ولم يسم فاعله وروى انه دخل عليه
رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لو واجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له فيغسل هذا
ويروى ينزعها قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية من
رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص
وروي عنه انه كان من حيائه لو بثبت بصره في وجه
احد وانه كان يكني عما اصطره الكلام اليه مما يكره
وعن عايشة قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه
وبسط خلقه مع اصناف الخلق فبحيث اعترفت
الوخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه
عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس
لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مسرور الدغاطي فيما اجازه به

وقرانه

وقرانه على غيره قال ثنا ابو اسحق الجبال ثنا ابو محمد
بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام
وابو مروان ومحمد بن المثنى ثنا الوليد بن مسلم ثنا
الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قتيبة بن
سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له
سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فابيت فقال
اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقرهم ويوقرهم
ويكرم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم
قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
وقال الغافر رحمه الله لنبيهم ولوكت

فقال قيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب حمارك

فصار لهم اي اصحابه اصغوا فقال ابن ابي عاصم

غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع
بالتي هي احسن الحديث وكان يجيب من دعاه ويقبل
الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته
ولا لشئ تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ماكان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماد عاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته
الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ماحجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رانى الا تبسم
وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويكنى
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون
الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام
ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط ماد رجليه
بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل
عليه ويربما بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها اذا ابى ويكني
اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع

على احد

على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي او قيام
ويروى بانتهاء او قيام ويروى انه كان يخفف
احد وهو يصلي الوخفف صلوته وسأله عن
حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن
او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث
مارايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس قال كان خدم المدينة
يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس
يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك وصل واما الشفقة
والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى
فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك
حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني
بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر
ثنا ابن وهب اثنا يونس عن ابن شهاب قال

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر
حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان
صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى
وانه لمن ابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه
لاحب الخلق الى وروى ان اعرابيا جاءه يطلب
منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك
قال الاعرابى لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان تقروا ثم قام ودخل
منزله وارسل اليه صلى الله عليه وسلم وزاده
شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى انفس اصحابى
من ذلك شئ فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت
بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد او العشى جاء فقال
صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال
فزدناه وزعم انه رضى اكذلك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه
وسلم مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى ارفق بها

منكم

منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من
قمام الارض فرمها حتى جاءت واستناخت
وشد على رحلها واستوى عليها واتى لو تركتم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار
وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغنى
احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب
ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم
وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله
لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخير صلاة الليل ونهيهم عن الوصال
وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته
ورغبته لربه ان يجعل سبته ولعنته لهم رحمة
وانه كان يسمع بكاء الصبى فيخفف فى صلوته
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه
وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل
ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه
اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع
قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك
الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبى صلى الله عليه

بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر
ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اوخر عني امتي لعل الله ان يتوب
عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال
ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن
عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
ترده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق فضل واما خلقه صلى الله
عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم
فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بوراني
عليه ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحق الخال
ثنا ابو محمد بن الخاص ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود
ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن
طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل
ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان ابتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي

انا ها هنا

انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن
عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على
خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح
الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه
اختها فارتاح اليها ودخل عليه امرأة فتبشش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه
من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله
عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء غير
ان لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام
بامامة ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد
وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال وفد
وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جاءت اخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها
ان احببت اقمت عندي مكرمة محبة او انعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها

وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا غلام اذا قبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها
رداه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي
ارضعته وعن عمر بن الشاب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه
ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه
من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه
بين يديه وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها
قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله
لا يخزيك ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق فضل واما تواضعه صلى الله
عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك
انه خير بين ان يكون نبيا عبدا فقال لاسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواصف له
انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق
الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد
العواد الفقيه بقراءتي عليه في منزله بقرطبة
سنة سبع وخمس مائة ثنا ابو علي الحافظ
ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا

ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله
بن محمد عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا
على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب
الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه
مختلطا بهم حتى ما انتهى به المجلس جلس وفي
حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني
كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها
شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال
اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت
اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت
من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد
وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل
من ليف عليه اكاف فلو كان يدعا الى خبز الشعير
والوهالة المسخنة فيجيب قال وجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رجل رث وعليه قطيفة

ما يساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعل
حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الوحي
واهدى في حجة ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمون طأطأ على رحله
راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولو تفضلوا بيننا لونبيا، ولو تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت
ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال
للذي قال له يا خير البرية قال ذلك ابراهيم وساتي
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله
وعن عايشة والحسن وابي سعيد الخدري وغيرهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة
اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف
نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير
ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن انس قال ان كانت
الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من
هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك
انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي
قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم

فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح
وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله
عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله
الوعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم
ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب
الشئ احق بشيه ان تحمله فصل واما عدله
صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته
وصدقه ونحته فكان صلى الله عليه وسلم امين
الناس واعدل الناس واعف الناس واصدق
لهجة منذ كان ثم اعترف له بذلك محادوه وعداه
وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق
كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق
الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكد المقرين
على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلف
قريش وتخاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع
الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله
عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
بن خثيم قال كان يحاكم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم انتم امنون في السماء وامنون
في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل ابن خيرون ثنا

ابو يعلى ابن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام عن سفين
عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي انا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الاية وروى عزة لا نكذبك
وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس ابن
شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم
ليس هنا غيري وغيرك وسمع كلامنا فاخبرني عن
محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا
لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه
ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم
ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه
ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها و
في حديث علي في وصفه عليه السلام صدق
اللهجة وقال في الفصيح ويحك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت
عايشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم

في امرين

في امرين لو اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان
اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد
قسم كسرى ابنائه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان عرفهم
بسياسة دنياهم فجلود ظاهرها من الحبوة لدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه
وسلم جزاه الله عنا افضل جزاء جزا الله وجزا
لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزا نبيه وبين الناس
فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول
ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ
حاجة من لا يستطيع ابلاغها اثبته الله يوم القيمة
الوكير وعن الحسن قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ياخذ احدا بقول احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي
رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء
مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة للغلام
كان برعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة
فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب الله

على اذنى فمت فما ايقظنى الا حس الشمس وجعت
ولم اقض شيئا ثم عرانى اى عشيتى مرة اخرى مثل
ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وفاته
صلى الله عليه وسلم وصفته وتوديته ومرثيته
وحسن هديه فحدثنا ابو على الجيانى الحافظ
اجازة وعارضت بكتابه ثنا ابو العباس البزاز
ثنا ابو ذر الهروى انا ابو عبد الله الورقانى
ثنا اللؤلؤى ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن بن
سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابى الزناد
عن عمر بن عبد العزيز عن وهب قال سمع خارجة
ابن زيد يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر
الناس فى مجلسه ولا يكاد يخرج شيئا من اطرافه
وروى ابو سعيد الخدرى قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع صلى الله عليه
وسلم ورأيته جلس القرفصاء وهو فى حديث قبله
وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان يضحك تبسما وكلامه
فصل لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا واقتداء به فجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا توبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه

كأنما على رؤسهم الطير وفى صفته يخطو تكفيا
ويمشى هونا كأنما ينحط من صبب وفى الحديث
الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف فى مشيته انه
غير عاجز ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
عبد الله قال كان فى كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابى هالة
كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكير قالت عائشة كان صلى الله عليه
وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض
عليها ويقول حبب الى من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة
ومن مرثيته صلى الله عليه وسلم نهيه عن
النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل
مما يلى والامر بالسواك وافشاء السلام
والترواجب واستعمال خصال الفطرة
فصل واما زهده فى الدنيا فقد تقدم من اخباره
فى اثناء هذه السيرة ما يكفى وحسبك
من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سبقت
اليه بحذافيرها وتزاد عليه فتوجها ان تؤتى

اى ينفض عن الاعادة والتكرار على
بفتح الراء اى زينتها وبهجتها على الاقل

بضم الواو والجيم وتشديد الراء اى السكوت
وحلم ومحمدة على الاقل
وسكينة وطمانينة وسكينة على
بفتح هز وسيلان اى تنابع وتتابع على الاقل
وتشتيت ومحمله بالتحريك على
اى سرعة وطريقة المشى على
حقائق سنريقها وتدافق خفيفة
بتشديد اللام قيل بتشديد همزة
الاخ هنا اعادا لوجود الفاصلة
روى عن ابن المبارك عن وابن
فقال وروى عنه الوزير عنه

اى تتابعت على الاقل
بضم الجيم وتشديد الراء اى تتابعت
بضم الجيم وتشديد الراء اى تتابعت
بضم الجيم وتشديد الراء اى تتابعت

صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعوا ويقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص
والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله
النيسابوري قالوا حدثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس
الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا
ابو معوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن
عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى سبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لو عطاه الله ما لو يخطر ببال وفي رواية
اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقوا الله وقالت عايشة ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سلاحه
وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة
ولقد مات وما في بيتي شئ يأكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي
ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه
فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع

فاحمدك

فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل
نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام
ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عايشة قالت ان كنا آل محمد
لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر
والماء وعن عبد الرحمن بن عوف قال مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع
هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة
وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس
كان صلى الله عليه وسلم جيب هو واهله
المتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس
قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان قط ولو في سكرجة ولو خبز له مرققا
ولو راى شاة سميطا قط وعن عايشة قالت
انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة قالت كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته مثنيا ثنيتين
فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح
قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال

استغفار اسلاميه او سنغلاي

ردوه بحاله فان وطأته منعتنى الليلة
صلاتى وكان ينام اجانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر فى جنبه وعن عائشة قالت
لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا
قط ولم يكث شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا
يلتوى طول ليلته من الجوع فما يمنعه صيام
يومه ولو شاء ان ربه جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى
وامسح بيدى على بطنه فما به من الجوع واقول
نفسى لك الفداء لو تلفت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عايشة مالى وللدنيا اخوانى من
اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى
ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم
وما من شئ هو احب الى من اللحوق وباخوانى
واخلائى قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفى
صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه
بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب
قراءة منى عليه ثنا ابو القاسم الطبيبى ثنا
ابو الحسن القابسى ثنا ابو زيد المروزى ثنا ابو عبد الله

الفربرى

الفربرى ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد
بن المسيب ان اباهريرة كان يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا قال فى روايتنا عن ابى عيسى الترمذى
رفعه الى ذر انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش الى الصعدات
تجئرون الى الله لوددت انى شجرة تعضد رواه
هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد من قول
ابى ذر نفسه وهو صحيح وفى الحديث المغيرة
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفى
رواية كان يصلى حتى ترم قدماه فقيل له تكلف
هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة
وابى هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان
يطيق وقالت عايشة كان يصوم حتى نقول
لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال وقالت
كنت لا نشاء ان نراه من الليل مصليا الا رايته

بضمتين جمع صعد جمع صعيدة اى الطرقات على القلب

اى استحيا ان يجيئ بصيغة المجهول اى تقل على القلب

بالصيغة المجهول اى تقطع على القلب

اى موقوفا عليه من غير رفع على القلب

اى السنادة الموقوف على القلب

اى هذا السنادة المرفوع على القلب

مصلياً والى قائماً الرواية قائماً وقال عوف
بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه
فبدأ فاستفتح البقرة فلم يمر بآية رحمة الا وقف
فسأل ولم يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع
فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت
والملكوت والكبرياء ثم سجد وقال مثل ذلك
ثم قرأ آل عمران ثم سورة يفعل مثل ذلك وعن
حذيفة مثله وقال سجد نحواً من قيامه وجلس
بين السجدتين نحواً منه وقال حتى قرأ البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قالت
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية
من القرآن ليلة وعن عبد الله بن المخارق قال
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكر ليست له راحة وقال
عليه السلام اني لأستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل
اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن لتنفو

والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي
حديث اخر وغرة فؤادي في ذكره وعمي
لوجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم
وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء
والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات
الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم اشرف
الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال
عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة
على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه
السلام طوله ستون ذراعاً في السماء وفي
ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل ضرب رجل
افنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر

كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن
مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال
في حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت
راءٍ من آدم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله تعالى
من بعد لوط نبيا الا وفي ذروة من قومه ويروى
في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس قال
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم
ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله
يبشرك بيحيى الصالحين وقال ان الله اصطفى
ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الوبين
وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى الوبة قال النبي صلى الله عليه
وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا

مايرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال
تعالى عنه فوهب لي حكما الوبة وقال
في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال
ان خير من استاجرت القوي الامين وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله
فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصدع
والهدى والوجاهة والحكم والبنوة وقال
فبشرناه بغلام حليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال
في اسمعيل انه كان صادق الوعد الوبين
وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد
انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب اولي الايدي والابصار الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه
واتيناه الحكم وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا وقال
شعيب ستجدني ان شا الله من الصالحين
وقال وما اريد ان اشق عليك الى ما انهيكم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال
ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا

يسارعون فى الخيرات الاية قال سفيان
هو الحزن الدائم فى اى كثيرة وذكر فيها من
خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك فى الاحاديث كثير كقوله انا الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم نبى ابن نبى ابن نبى وفى حديث
انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وروى ان سليمان كان مما اعطى من الملك لو نزع فى
بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم
الناس لذايذ الوطمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله
اليه يا راس العابدين وابن مجحة الزاهدين وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح فى جنوده فيأمر
الريح فتقف فينظر فى حاجتها ويمضى وقيل ليوسف
ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف
ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة عنه
عليه السلام قال خفف على داود القران فكان
يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القران قبل ان تسرج ودوابا
الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد
ان اعمل سابغات وقدر فى السرد وكان سأل ربه
ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله
وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة
داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه

ويصوم

ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ترض
بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما
حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى
حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع فى خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت
حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلنى بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له
بيت اينما ادركه النوم نام وكان لجبلا اسامة
اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه
السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل فى بطنه من الهزال وقال النبى عليه السلام
لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر والفقر
وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال
عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام
فقيل له فى ذلك فقال اكره ان اعود لسانى
المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى
العشب وكان يبكى من خشية الله حتى تخذ
الدمع مجرى فى خده وكان يأكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبرى عن وهب

ان موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع
الدابة تواضعا لله بما اكرمه الله به من كلامه
واخباره وفي هذا كله مستطورة وصفاتهم في الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت
الى ما نجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا فصل قال المؤلف رحمه الله
قد انبأنا اكرمك الله من ذكر الوحدة الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
وارتياك صحبتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا
من الوقار ما فيه مقنع والوه واسع فمحال لهذا
الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الدلاء وبحر علم خصائصه هو
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف
مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقلل من كل وعيض من فيض
وارينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن
عن ابيه هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا
وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ولطفه
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا
القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة الوقام

ابو القاسم

ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه
اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
بن الحسن البناء بوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي
الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انبأنا ابو القاسم
علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي انبأنا ابو سعيد
الهيثم بن كليب الشاشي انبأنا ابو عيسى محمد بن
عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفيان بن وكيع
ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء
من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد
ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله
عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن
الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي
ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن حذاء اذا لم يخرجها الباقون
قال واجاز لنا الشيخ الوجل ابو الفضل احمد بن
الحسن بن خيرون قالوا انبأنا ابو علي الحسن
بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
بن حرب بن مهران الفارسي قرأة عليه فاقر به
انبأنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي
بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي

حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد
بن عمر بن الحسين بن ابي طالب حدثني علي بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر
عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن
الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا
السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية
رسول الله صلى عليه وسلم وكان وصافاً وانا
ارجو ان يصف لي منها شيئاً اتعلق به قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً
يتلوء وجهه تلوء القمر ليلة البدر اطول
من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا يجاوز
يجاوز شحمة اذنيه اذا هو وفرة ازهر اللون
واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين
له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم مفلج
الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكاً سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور
المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى

ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح
القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعاً
ويخطو تكفؤاً ويمشي هوناً ذريع المشية
اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت
التفت جميعاً خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع
الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثاً
ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت
لا يذم شيئاً لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا يقوم
لغضبه اذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها
فضرب بباطن راحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه
التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن

فكتمها الحسين بن علي زماناً ثم حدثه فوجدته
قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيئاً قال الحسين سألت ابي عليه السلام
عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك فكان
اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء
جزء لله وجزءاً لاهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على قدر فضلهم
في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما
اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي
ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب
وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته
فانه من ابلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع ابلاغها
ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين
بن وكيع يدخلون رواداً ولا يتفرقون الا عن
ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فكيف
كان مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه

الا مما يعنيهم

الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم
منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة سألته عن
مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله عليه وسلم
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه
نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احداً اكرم
عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم اباً وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه
بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر

واما ان لو ترفع فيه الاصوات ولو تؤبن فيه
الحرم ولو تنثى فلتانه وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون
ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته
صلى الله عليه وسلم في جلساته فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك
نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه
وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا
يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا ينازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثهم حديثهم اولهم يضحك مما يضحكون
منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب
على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب
يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفين بن
وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على
اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له
الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان
لا يغضبه شئ يستفزه وجمع له في الحذر اربع
اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه
واجتهاد الراى بما اصلح امته والقيام لهم بما
جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف
بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث
ومشكله قوله المشذب اى البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر لبس
بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه
مشط فتكسر قليلا وليس بسبط ولا جعد
والعقيقة شعر الراس اذا ان انفرقت من ذات
نفسها فرقها واذا تركها معقوصة ويروى
عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر
حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اى زينتها
وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض
الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع
البياض والادم الاسمر اللون ومنه في الحديث
الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب
الوزج المقوس الطويل الوافر الشعر

والوقى لسائل الانف المرتفع وسطه والاثم
الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج ووقع فى حديث ام معبد
وصفه بالقرن والودع الشديد سواد الحدقة
وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجل العين
وهو الذى فى بياضها حمرة والضليع الواسع
والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيزها كما يوجد فى انسان الشباب
والفلج فرق بين الثنايا ورقيق المسربة خيط
الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ولحم
ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم اى ليس بمستدير اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر الى
مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
فيكون من لوقال وهو احد معانى اشاح انه
كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره تقعس وهو
نظامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر
اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن
ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى
عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن
دريد والكراديس رؤس العظام وهو نص قوله
فى الحديث الاخر جليل المشاش والكتد

رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن
الكفين والقدمين لحمهما والزنزان عظما
الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع
وذكر ابن الانبارى انه روى سائل الاطراف
او قال سابن بالنون قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على
الرواية الاخرى وساير الاطراف فاشارة الى
ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث
ورحب الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن
سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين
اى مبتجا فى اخمص القدم وهو الموضع الذى
لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين
اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث
ابى هريرة خلوف هذا قال فيه اذا وطئ يقدمه
وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح ابن
مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لانه لم عليها
وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والقلع
رفع الرجل بقوة والتكفو الميل الى سنن المشى
وقصده والهون الرفق والموقار والذريع
الواسع الخطوه اى ان مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلوف مشيه
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق

62

عن الى هريرة والى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه قال بنادي هناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا الا ان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا

وتثبت دون عجلة كما قال كأنما يخط من صب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى بسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشداق مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون رواداً اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولو ينصرفون الوعن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى في الغالب والكثرة والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لو يوطن الوماكن اى لو يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً وقد ورد نهيه عن هذا مفسراً في غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولو تؤبن فيه الحرم اى لو يذكرون بسوء ولو تثنى فلتاته اى يتحدث بها اى لم يكن له فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والمستخاب الكثير الصياح وقوله ولو يقبل الثناء الومن مكاف قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الو من مسلم وقيل الو من مكاف على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له وليستغفره ليمحقه وفي حديث آخر في وصفه عليه السلام منهوس العقب اى

قليل

قليل لحمها واهدب الوشعار اى طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الوخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلة وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم

لو خلوف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الوحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وخصصنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا الفصل الول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والوصطفا ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد المعدل اذنا بلفظه ثنا ابو الحسن الفرغاني ثنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها قال ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الوعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسماً فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثنوثاً فجعلني من خيرها ثلثاً وذلك قوله

فضل اصحاب اليمين هم الذين يوتون ذات اليمين الجنة واصحاب الشمال هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وهم الذين خلق الله من ظهر آدم والذين خلق من شقه الايمن والايسر اوعلى الحقيقي كما جاء في الحديث الصحيح في اخذ الميثاق من ظهر ادم عليه السلام

قوله واصحاب المنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الشعوب قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الوبة فانا اتقى ولدادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الوبة وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الوسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولدادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه السلام انا في جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعبت عليه فقال له جبريل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم عليه السلام اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة

وقذفني

وقذفني في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب فيه بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لون الغالب على الوانهم الادمة فهم السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الادم وقيل الحمر

الوحش والسود الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة
نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم
اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر
انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرطكم وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد
اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف
عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي
اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر قال البعث بين يدي
الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله تعالى ما اعطيتك خير منه اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في خوف
السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك
وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد
من الناس قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها النبي غيرك

وفي حديث

وفي حديث آخر رواه حذيفة بشر في يعني ربه
اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا
مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا يجوع امتي ولا تغلب واعطاني
النصرة والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا
مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطى من الآيات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تبعا
يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن
يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول
فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا في اخر باب المعجزات
وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء
من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر
نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة

من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل فى طينته وعدة ابى ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله
فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء
وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله
على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن
يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا
مبينا قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقال
لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن
معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روى نحوه عن ابى ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابى ابراهيم
يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى
عيسى ورات امى حين حملت بى انه خرج منها
نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا انا مع
اخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءنى رجلان
عليهما ثياب بيض وفى حديث اخر ثم اتانى رجال
بطشت من ذهب مملوة ثلجا فاخذانى فشقا بطنى

واخذوا قلبى

قال فى غير هذا

قال فى غير هذا الحديث من شرحى الصدر بطنى
ثم استخرجا منه قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج
حتى انقياه قال فى حديث اخر فناول احدهما شيئا
فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به
قلبى فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر
يده على مفرق صدرى فالتأم وفى رواية ان جبريل
قال قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران
واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة
من امته فوزننى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته
فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته
بامته لوزنها قال فى الحديث الاخر ثم حفوا فى الى
صدورهم وقبلوا راسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب
لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك
وفى بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله
ان الله معك وملائكته قال فى حديث ابى ذر
فما هو الا ان ولينى فكانما ارى الامر معاينة
وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما
ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى
خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال له الله تعالى
من اين عرفت محمدا قال رايت فى كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى

محمد عبدى ورسولى فعلمت انه اكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله وتاويل
قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وفى
رواية اخرى فقال ادم لما خلقتنى رفعت راسى
الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى
انه آخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر
وروى عن شريح بن يونس انه قال ان الله ملكا
سياحين عبادها على كل دار فيها احمد او محمد
اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع
القاضى عن ابى الحمراء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اسرى بى الى السماء الدنيا رايت على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى
وفى التفسير عن ابن عباس فى قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا
محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس قال على
باب الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا
محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه

وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله
محمد نقى مصلح وسيد امين وذكر التيمنطارى
انه شاهد فى بعض بود خراسان مولودا وله
على احد جبينه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر
محمد رسول الله وذكر الوخاريون ان ببلاد الهند
ورد احمر مكتوبا عليه بالوبيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادا منادى الولنقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى
ابن القاسم فى سماعه وابن وهب فى جامعه عن
مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه
فيه اسم محمد الا ويرزقون وعنه عليه السلام
ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلثة
وعن عبد الله بن مسعود قال ان الله نظر الى قلوب
العباد فاختار قلب محمد عليه السلام فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان توذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلنى عليكم تفضيلا وفضل نساءى
على نسائكم تفضيلا والحديث فصل فى تفضيله
بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة
والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى

67

سدرة المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى
ومن خصايصه عليه السلام قصة الوسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين
فى صحة الوسراء به عليه السلام اذ هو نص القران
وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص بنيتا
محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة
راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادته من غيره
بحسب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على
والفقيه ابو بحر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله
التميمى وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العبا
العذرى ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد
الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البنانى
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى
يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه
ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء

من لبن

من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة ثم عرج بى الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا صلى الله عليهما فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطى
شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى
السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام
فرحب بى ودعا لى بخير قال الله ورفعناه مكانا
عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا
انا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا
الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال

قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين
صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت
حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر
فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت
سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال
القاضي رحمه الله جوّد ثابت هذا الحديث عن انس
ما شاء ولم يأت احد عنه بأصوب منه وهذا وقد غلط
فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية

شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له
وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان
وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الوسراء
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد
انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد
روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا
مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الوسراء كما رواه
الناس مجودا في القصتين وفي ان الوسراء الى
بيت المقدس والى سدرة المنتهى كانت قصة
واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج
من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج
صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطشت
من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن
انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير
وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء

فى السموات وحديث ثابت عن انس انفرد واجود
وقد وقعت فى حديث الوسراء زيادات نذكر منها
نكتا مفيدة فى عرضنا منها فى حديث بن شهاب
وفيه قول كل نبى لا مرحبا بالنبى الصالح والولد
الصالح الوادم وابراهيم فقالا له والولد الصالح
وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بى حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس حتى
حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادرى
ما هى قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك بن
صعصعة فلما جاوزته يعنى موسى بكى فنودى ما
قال ربى هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتى وفى حديث ابى هريرة
وقد رايتنى فى جماعة من الانبياء فحانت الصلوة
فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار
فسلم عليه فالتفت فبدانى بالسلام وفى حديث
ابى هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة فصلى فيه الملائكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك
قال هذا محمد رسول الله وخاتم النبيين قالوا
وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم
وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر

كلام النبى

كلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا
صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى
على ربه وانا اثنى على ربى فالحمد لله الذى ارسلنى
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا
وانزل الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل امتى
خير امة وجعل امتى امة وسطا وجعل امتى
هم الاولون وهم الاخرون وشرح لى صدرى
ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى
فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد
ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفى حديث ابن مسعود
وانتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء
السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب وفى رواية ابى هريرة من طريق
الربيع بن انس فقيل لى هذه السدرة المنتهى
ينتهى اليها كل احد من امتك خلى على سبيلك
وهى السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من
ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين
عاما او ان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور

وغشيتها الملوكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة
ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت
ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد
وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
سخرت له الجن والوحش والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت
عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك
خليلا وحبيبا وهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون
وهم الاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس
واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى
الا يتين راى جبريل في صورته له ستمائة جناح
وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال
بتفضيل كلام الله قال ثم علي به فوق ذلك مما لا يعلم

قبلت واعطيتك جوامع
سورة البقرة من كنز تحت
عرشي واعطيتها قبلك نبيا

الا الله

الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع احد علي
وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبياء ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى
ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل ببراق
يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه
فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها
الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك
اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك
بالحق اني لاوقر الخلق مكانا وان هذا الملك لفي
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال له الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان
لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان
الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة
حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه
فامر اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راوية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه
وسلم الشرف على اهل السموات والارض
قال القاضي رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر

وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
قضيت حاجتي من ربي عز وجل وانصرفت راجعا مررت
بعير قريش بالروحاء وقد ضلوا عنها وانا اعلم بمكانها
فعدت في الاثر حتى اخذتها فاتيت بها
ولو شئت لاخبرتهم بعيرهم وما لقيتهم
والاذن فيها وانا اقلب طرقي في سكوت الليل
فوجدت فضل علي بالله تعالى على خلقه
ورايت النور الاعظم والشعاع
واليواقيت ثم ادخلت الجنة فما رايت

الحجاب فهو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق
فهم المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه
اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه
على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شاء
وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله فى هذا الحديث الحجاب
والارجح ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب
يحجب به من وراءه من ملائكته عن الوطلاع على
ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته
وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذى خرج من ورايه ان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل ان هذا
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم المخلوقين
وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم وامتا
الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى
عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادى
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسئل القرية اى اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب
صدق انا اكبر فظاهره انه سمع فى هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
اى وهو لو يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول

بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه
فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى راه والله اعلم **فصل ثم اختلف**
السلف والعلماء هل كان الاسراء بروحه او بجسده
على ثبوت مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء
حق ووحى والى هذا ذهب معوية وحكى عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
بينا انا نايم وقول انس وهو نايم فى المسجد الحرام
وذكر القصة ثم قال فى اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو المحفوظ
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابى هريرة
ومالك بن صعصعة وابى حبة البدرى وابن
مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن
وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج
وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبرى
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو
قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين

72

والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء
بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس
والى السماء بالروح والحجة بقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعله الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بشريف النبي
صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء
اليه قال هو لو ولو كان الاسراء بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم
اختلف هذه الفرقة هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته
فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليماني وقال والله
ما زال عن ظهر البراق حتى رجع قال القاضي
رحمه الله عليه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله
انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لما قال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك

منهم

منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه
وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته
بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء
على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق و
خبر المعراج واستفتاح السماء فيقال من معك
فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه
وترحيبهم به وثنائه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل
الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا
عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا
منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا
فعدت لمضجعي وذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فقمت معه الى باب المسجد فاذا دابة
وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسرى بنبي
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتنا
تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا
فلما كان قبل الفجر هبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ
لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رأيت

73

بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الون كما ترون وهذا بين
فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن اوس
عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى
طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك
فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت
ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فاذا بملك قائم معه انية ثلوث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فنحمل
على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم
فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل فشرح
صدرى ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة
ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال اتيت فانطلق بى الى زمزم
فشرح عن صدرى وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى
عن مسراى فسالتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله الى انظر اليه
ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب فى حديث
الوسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل
فى ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى

وما جعلنا

وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس
فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذى اسرى
بعبده يرده لانه لو يقال فى النوم اسرى وقوله
فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص
اذ ليس فى الحلم فتنة ولو كذب به احد لان
كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون
فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان
المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب
بعضهم الى انها نزلت فى قصة الحديبية وما وقع
فى نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما
قولهم انه قد سماها فى الحديث منامًا وقوله
فى حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضًا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة
فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه
كان وهو نائم او اول حمله والوسراء به وهو
نائم وليس فى الحديث انه كان نائمًا فى القصة
كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا
بالمسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله حينئذ
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان
فى بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد
الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت
السموات والارض وخاطر باطنه من مشاهدة

الى اخر ما ذكره

الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الوشارات الى نحو
من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء
ولعله كانت له في هذا الوسراء حالوت ووجه
رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة
النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد ابن حميد عن همام بينا انا نائم ورجما قال
في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين
النائم واليقظان فيكون سمى هيئة بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم
الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن
ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي
من رواية شريك عن انس وهي منكرة من رواية اسحق
البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره
عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث
قبل ان يبعث والوسراء كان باجماع بعد المبعث
وهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا
قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه

مضطجع وفي رواية
هدبة بعد على الله عليه
بينا انا في الحطيم ورجما قال

لم يسمعه

لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم انه
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة
كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقد
جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها
لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الوسراء متى كان
فان الوسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت
عائشة في الهجرة بنت ثمانية اعوام وقيل كانت
الوسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه ان الخمس والحجة لذلك تطول وليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها
حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر
غيرها وغيرها يقول خلافه فما وقع نصا في حديث
ام هانى وغيره وايضا فليس حديث عائشة
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نفني
حديث ام هانى وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روى في حديث عائشة ما فقدت جسده
ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم وكل هذا
يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كان
عندها منامًا لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى

ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه
للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا بهذه
عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الوهم الى البصر وقد قال اهل التفسير
في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما رأته عينه **فصل واما رؤيته صلى الله**
عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف
فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه
قال حدثني ابو الحسن وابو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود
بن آدم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن
مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل رأى
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه
فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر
الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما رأى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع
رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء

والمتكلمين

والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى
عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه
بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى
ابن عباس يسأله هل راى محمد ربه فقال نعم واكثر
عنه انه راى ربه بعينه روى ذلك عنه من
طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد راه
نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد
مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى
عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا
قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبه الجبال
وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك
عن ابي ذر في تفسير الاية قال رأى النبي صلى الله
عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب
القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي
ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي

وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى
الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكا بعض المتكلمين هذا المذهب عن
ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة
هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن
حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه قد رآه
رآه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد وقال ابو عمر
قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول
برؤيته فى الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير
لو اقول راه ولم يره وقد اختلف فى تاويل الاية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكى عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد
بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء فى قوله
الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن على بن
اسمعيل الاشعرى رضى الله عنه وجماعة من اصحابه
انه راى الله ببصره وعينى راسه وقال كل اية
اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام فقد اوتى
مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من جنسهم
بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا فى هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون

قال الراضى

قال القاضى ابو الفضل المصنف رضى الله عنه
والحق الذى لا مرية فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا
جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها
ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز
عليه بل لم يسال الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه
ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله
فقال له الله لن ترانى اى لن تطيق ولو تحتمل رؤيتى
ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى
واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولو امتناعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولو حجة لمن استدل
على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف
الناس ويموت فى الاية واذ ليس يقتضى قول من قال
فى الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه
الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس
وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون
وكل هذه التاويلات لا تقتضى منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن ترانى
الاية وقوله ثبت اليك لما قدمناه ولانها

ليت على العموم ولو سلم من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل وايضاً فليس فيه نص للممتنع
وانما جاءت في حق موسى وحيث تنتظم التاويلات
وتتسلط الوحتمالات فليس للقطع اليه سبيل
وقوله تبت اليك اي من سوالي ما لم تقدره لي وقد قال
ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر
ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات
وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه
ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضة للافات
والفناء فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيباً آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وتم
انوار ابصارهم وقلوبهم نحو وليها على الرؤية وقد
رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ترى في الدنيا
لانه باقٍ ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة
ورزقوا ابصاراً باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا
من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى
من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية
لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية
يميزهما لو رالا ما ادركاه ورؤية ما رآياه
والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته

عن اليمين ما معناه ان موسى عليه السلام
راى الله فلذلك خر صعقاً وان الجبل راى ربه
فصار دكاً بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك
والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكاً وخر موسى صعقاً وتجليه للجبل هو ظهوره له
حتى راه على هذا القول وقال لجعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولو ذلك لمات صعقاً بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له
اذ جعله دليلاً على الجواز ولا مرية في الجواز اذ لا سر
في الاوليات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله
عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فليس فيه
قاطع ايضاً ولا نص اذ المعول فيه على اتي النجم
والتنازع فيهما ما نور والوحتمال لهما ممكن ولا نص
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف
محتمل مشكل فرؤى نوراني اراه وحكى بعض شيوخنا

انه روى نورا فى اراه وفى حديثه الاخر سالته
فقال رايت نورا ولبس يمكن الاحتجاج بواحد
منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه
وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نورا فى
اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المفنى للبصر
وهذا مثل ما فى الحديث الاخر حجابه النور وفى
الاخر لم اره بعينى ولكنى رايته بقلبى مرتين وكل
ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذى فى البصر فى القلب او كيف شاء تعالى الله عنه
فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد وجب
المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى
يرده والله الموفق تعالى فصل واما ما ورد
فى هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه
بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله
الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق
قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى
والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه
فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن
اشهورية وابن عجلان وانكره اخرون وذكر النقاش
عن ابن عباس فى قصة الاسراء عنه عليه السلام

فى قوله دنا فتدلى قال فاوحى جبريل فانقطعت
الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول
ليهنأ روعك يا محمد ادن ادن وفى حديث انس
فى الاسراء نحو منه وقد احتج فى هذا بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فقالوا
هى ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا
ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع
المشاهدة وقد قيل الوحى هنا هو ما يلقيه فى قلب
النبى دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن على
فى حديث الاسراء ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله
عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال
الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب
صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات
الاذان مثل ذلك ويجئ الكلام فى مشكل هذين
الحديثين فى الفصل بعد هذا مع ما يشبههما وفى
اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم ومن اختصه من الانبياء عليهم السلام
جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى الشرع قاطع
يمنعه فان صح فى ذلك خبر احتمل عليه وكلامه
تعالى لموسى عليه السلام كان حقيقة مقطوعا به

نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلولة
على الحقيقه ورفع مكانه على ما ورد في الحديث
في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمد ﷺ
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف
الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع
الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل
بعضهم فوق بعض درجات **فصل واما ما ورد**
في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو
والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام
او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب عز وجل دنا من محمد فتدلى
اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن
قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته
وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال قارفني
جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي

وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث
الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه
فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه
ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لاحد له ومن العباد
بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن
الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب **قال القاضي ابو الفضل** رحمه الله
عليه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب
هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب
مدا كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد
وانما دنو النبي من ربه وقربه منه بانه عظيم
منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته
ومشاهده اسرار غيبه وقدرته ومن الله له
ميزة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه
ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد
الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطي ومن توهم انه جعله دنا جعل بينه

بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعداً يعني
عن درك حقيقته اذ لو دنو للحق ولو بعد وقوله
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائداً الى الله
تعالى لو الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل وانضاح المعرفة والوقوف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار
التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له وتاول
فيه ما تاول في قوله من تقرب مني شبراً تقربت
منه ذراعاً ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب
بالوجابة والقبول واتيان بالوحي وتجميل المامول

فصل في ذكر تفضيله عليه السلام في القيمة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي
ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالوا ثنا ابو يعلى ثنا
السبخي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين
بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث
عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا آيسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
وفي رواية ابن زنجر عن الربيع بن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا وانا
قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا

شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي
ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لولوء
مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم
ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي
يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لواي وانا اول
اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة
عنه عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة
واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول
مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلها
معي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس
يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعاً وعن انس
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين
والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة
انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء
اجراً يوم القيمة وفي حديث اخر ما من الانبياء

ابراهيم وعيسى فكم يوم القيمة ثم قال انهما في
يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وزيتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فانو نبياء اخوة
بنو اعلات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني
وبينه نبي وانا اولى الناس به فقوله انا سيد الناس
يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لتفرده فيه بالسؤدد والشفاعة
دون غيره اذ لجاء الناس اليه في ذلك فلم يجدوا
سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في
حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر
لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له
تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت
دعوى المدعي لذلك في الدنيا وكذلك لجاء
الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة
فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن ابن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة
يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء
وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك
كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا

وعن ابي ذر

وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان
الى ايلة ينبعث فيه ميزابان من الجنة وعن
ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر
من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين
المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الوسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن
وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب
الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن
ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن
الخطاب وابن بريدة وابو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء
وجندب وعائشة واسماء بنتا ابي بكر
وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل
في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة
والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واجمع
على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة
بنت احمد بن محمد قالت ثنا ابو الهيثم وثنا
ابو حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي
ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا الهيثم ثنا ابو عبد الله

محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله
بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن
سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر وفي حديث اخر ان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه
خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلوم موسى
كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك
وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب
الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من
قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة
ان محمد حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى
الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له احد
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد
وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي
ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه
وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده
وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع
مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم
لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه
ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو
في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة
فقال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك
الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة
ومعناها الايناس والالطاف والترفيع
والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه بقوله تعالى
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب
ان لا تواخذ بذنوبه قال فهذا والخلة اقوى
من النبوة لان النبوة قد تكون فيها العداوة

83

كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
ولو يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية
ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن
دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما
وما خا لل بواطنهما من اسرار الوهية ومكنون
غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء
قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو
عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة
درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء
فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة عليها
السلام وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم
جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل
ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب

ولكن

ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالاوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته
فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا
سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص
الحركات لله كما قالت عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن يرضاه ويسخطه لسخطه
ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله شعر

قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ٭ واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا
عليه السلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى
بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه خنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم

بفتح الهاء المهملة والنون بعدها ياء مثناة تحت ثم عين مهملة

ورغماً على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفاً بامرهم بطاعته وقرنها
بطاعته ثم توعدهم على التولى عنه بقوله
فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد فضل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
كلاماً فى الفرق بين المحبة والخلة بطول عملة
اشار اليه الى تفضيل مقام المحبة على الخلة
ونحن نذكر منه طرفاً يهدى الى ما بعده فمن ذلك
قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى
وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع
من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب
الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك الله
ما تقدم الاية والخليل قال ولا تخزنى والحبيب
قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدى بالبشارة
قبل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله
والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل
قال واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل له
ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال والخليل
قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب
قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال

من تفضيل

من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل
على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
فصل فى تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود
قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاماً
محموداً اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى
الجيانى فيما كتب به الى بخطه ثنا سراج بن
عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الوصيلى ثنا ابو زيد
وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسمعيل ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص
عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس
يصيرون يوم القيمة جثاً كل امة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهى الشفاعة الى النبى محمد صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود
وعن ابى هريرة قال سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعنى قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاماً محموداً فقال هى الشفاعة وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس
يوم القيمة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى
ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله
ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشى حتى يأخذ
بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود

85

الذى وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه
غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه
عن كعب والحسن وفى رواية هو المقام الذى
اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله
تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابى موسى
عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف
امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لانها اعم انزونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين وعن ابى هريرة قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك فى الشفاعة فقال شفاعتى
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه
قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارى ما تلقى امتى من بعدى
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله
ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يوتينى
شفاعة يوم القيمة وقال حذيفة يجمع الله
الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله
عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك

والشر ليس اليك

والشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك
بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فذلك المقام المحمود الذى ذكر الله وقال ابن
اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى
اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة
النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم قد عوذ ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون ادم وغيره
بعده فى الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن
الحسين عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال جابر
بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله
عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله فيه قال نعم قال
فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى
يخرج الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث
الشفاعة فى اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال
فهذا المقام المحمود الذى وعده وعن سلمان
رضى الله عنه المقام المحمود هو الشفاعة فى امته
يوم القيمة ومثله عن ابى هريرة رضى الله عنه
وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود
شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو
مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف

من الصحابة وعامة المسلمين وبذلك جاءت
مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام
وجاءت مقالة في تقنيدها شاذة عن بعض
السلف يجب التوقف اذا لم يعضدها صحيح اثر
ولو بشديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر
لكن ما فسره النبي عليه السلام في صحاح الآثار
يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات
في كتاب ولا اتفق سنة ولا اتفقت على المقالة
امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة
وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله
الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال
فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن
طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن
ابي هريرة فتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فيأتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك
حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة

فعصيت

فعصيت نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل
الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى
ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي
قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي
دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا
الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب
اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلوث كلمات
كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه
كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة
وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي اصابها وقتل النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم
بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فاستاذن
فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت
ساجدا وفي رواية فاني تحت العرش فاخر ساجدا

وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفى رواية
فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه
شيأ لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة
فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع
تشفع فارفع راسى فاقول يارب امتى يارب امتى
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الابواب ولم يذكر فى رواية انس هذا
الفصل وقال مكانه ثم اخر لى ساجدا فيقال لى يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يارب امتى امتى فيقال انطلق فمن
كان فى قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال
حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل
ما تقدم وقال فيه من كان فى قلبه ادنى ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
فى المرة الرابعة فيقال لى ارفع راسك وقل يسمع
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ايذن لى
فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك
ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة

عنه قال

عنه قال فلواددى فى الثالثة او الرابعة فاقول
يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى
وجب عليه الخلود وعن ابى بكر وعقبة بن عامر
وابى سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيوذنه
وناتى الرحمة والرحم فيقومان جنبتى الصراط
وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فيأتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال وتجيئكم صلى الله
عليه وسلم على الصراط يقول سلم سلم حتى يجاز
الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفى رواية
ابى هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس
عنه عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون
عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين
يدى ربى منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل
حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
فدامر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول
يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة
ومن طريق زياد النميرى عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس

ايذن لى فيه

عنه قال

يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة
وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فاخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي
فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر
نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لو شفعن يوم القيمة
لكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من هذه
الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام
ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها
من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويلجم منهم العرق والشمس والوقوف مبلغة
وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لراحة الناس
من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس
كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا
الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن
قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله
عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي
دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
اعلم انها استجاب لهم ويلجم فيها مرجوهم والا

فلم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا
صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
فيها عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف و
ضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعوها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو
صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي
دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد
ان ادخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد
عن ابي هريرة فكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والوقف
اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء
من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع
بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم القيمة
وخاتمة المحن وعظيم المسوال والرغبة
جزاه الله افضل ما جزا نبيا عن امته وصلى الله
كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي الشهيد ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن
احمد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني

ثنا النمرى ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر النهشلى
ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن
ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابى ايوب عن كعب
ابن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله
بن عمرو بن العاص انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لى الوسيلة فانها منزلة
فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وفى حديث آخر عن ابى هريرة
الوسيلة اعلا درجة فى الجنة وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا
فى الجنة اذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللولو
قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذى
اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج
مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمر ومثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفى رواية عنه فاذا هو بجرى
ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى
وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن
ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذى اعطاه الله
اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة

من الخير

من الخير الذى اعطاه الله وعن حذيفة فيما
ذكر عليه السلام عن ربه واعطانى الكوثر
نهر فى الجنة يسيل فى حوضى وعن ابن عباس
فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
الف قصر من لولو ترابهن المسك وفيه ما يصلحه
وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له من الازواج والخدم

اى من غلمان كما فيما لو لم يكونوا ولدا

فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح
الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل
الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن
التفضيل كقوله فيما حدثناه الوسدى ثنا النمرى
ثنا القارسى ثنا الجلودى ثنا ابن سفين ثنا مسلم
ثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة
سمعت ابا العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغى لعبد ان يقول
انا خير من يونس ابن متى وفى غير هذا الطريق
عن ابى هريرة قال يعنى الله تعالى ما ينبغى لعبد
الحديث وفى حديث ابى هريرة فى اليهودى الذى
قال والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال يقول ذاك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبى
صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفى رواية لا تخيروا وفى على موسى فذكر الحديث

وفيه ولو اقول ان احداً افضل من يونس
ابن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لو يقولن
احدكم انا خير من يونس ابن متى وفي حديث اخر
فجاءه رجل فقال له يا خير البرية فقال ذاك
ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث
تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل انتجاعاً
الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك
قوله لو اقول ان احداً افضل منه لو يقتضي تفضيله
هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي الكبر والعجب وهذا
لو يسلم من الوعتراض الوجه الثالث ان لو تفضل
بينهم تفضيلاً يؤدي الى تنقص بعضهم او لبغض منه
لو سيما في جهة يونس عليه السلام اي اخبر الله
عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لو يعلم منه
بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فربما
يخيل لمن لو علم عنده حطيطة بذلك الوجه
الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شئ واحد

لو يتفاضل

لو يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب والولايات
وامّا النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل
اولوا العزم من الرسل ومنهم من رفع مكاناً عالياً
ومنهم من وفى الحكم صبياً واوتي بعضهم الزبر و
بعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال
ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون
امته ازكى واكثر او تكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من
كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من لطائف وتحف ولو بته واختصاصه
وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان للنبوة اثقالاً وان يونس تفسخ منها تفسخ
الربيع فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها
جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه
وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب

وجه خامس وهو ان يكون انا راجعاً الى القائل نفسه اى لو يظن احد وان بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لو جل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلو وان تلك الوقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولو ادنى وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بياناً ان شا الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل فى اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحوا الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله تعالى فى كتابه محمداً واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمداً فهو احمد المحمودين

واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده بجده فيه الاولون والاخرون بشفاعته ويفتح عليه من المحامدين كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته فى كتب انبيائه بالحامدين فحقيق ان تسمى محمداً واحمد ثم فى هذين الاسمين من عجايب خصائصه وبدايع ايانه فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان تسمى بهما احد قبل زماننا مما احمد الذى انا فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان تسمى به احد غيره ولو بدعائه مدعو قبله حتى لو يدخل ليس على ضعيف القلب اوشك وكذلك محمداً بضاً لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاوده ان نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن سفين بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لوسابع لهم ويقال ان اول من بجمد محمد بن سفين واليمن تقول بل محمد بن اليحمد

من الوزد ثم حمى الله كل من يسمى به ان يدعى
النبوة وايدعيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احدا في امره حتى تحققت السمة له
صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيها واما قوله
وانا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر ففسر في الحديث
ويكون محوا الكفر اما من مكة وبعبود الوثن وما
زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقوله انا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني
وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى
وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره
من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله
في الخمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم
وقد روى عنه عليه السلام في عشرة اسماء
وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسيره انه يا طاهر يا هادي وفي يس
يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن
محمد وذكر غيره في عشرة اسماء فذكر الخمسة التي
في الحديث الموصول قال وانا رسول الرحمة ورسول

الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم ارده وارى ان صوابه قيم بانا
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود
عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه عليه السلام انه في القرآن سبعة
اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل
وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول
انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة
ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة
وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف
رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة
وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم
ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم
ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة

ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام
بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية
بني الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم انه قال
انا في ملك فقال لي انت فتى اي مجتمع قال
والفتوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته
صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاء ت من القابه
عليه السلام وسماته في القران عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمذكر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد
والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم
والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم
والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله
في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها
في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين

والشفيع

والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والقائم
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي
وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين
وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة
وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب
وراكب البراق والمناقب والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان
وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب
المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه
في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والخاتم حكاه كعب الاحبار
قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والخاتم
احسن الانبياء خلقاً وخلقاً وسمي بالتريانية
مشقع والمنحمنا واسمه ايضاً في التوراة احيد
روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
اي السيف وقع ذلك مفسراً في الانجيل قال معه
قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد دل
على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
صلى الله عليه وسلم وهو اللون عند الخلفا واتباع الهراوة

التى وصف بها فهى فى اللغة العصا واراد بها
والله اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود
عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العامة ولم يكن حينئذ اتو للعرب والعاجم نجان العرب
واوصاف والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع ان شا الله وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروى عن انس رضى الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل صلى الله
عليه وسلم فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم

فصل فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضى ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا
الفصل بفصول الباب الاول لو تخراطه فى سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح
الصدر للهداية الى استنباطه ولو اثار الفكر
لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل
الذى قبله فرايتا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله

فاعلم ان الله تعالى اختص كثيراً من انبيائه بكرامة
خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل
بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحاً بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ
عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم

وفضل

وفضل محمداً نبينا صلى الله عليه وسلم بان خصه
منها فى كتابه العزيز وعلى لسنة انبيائه بعدد
اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جميع منها فوق اسمين ولو من تفرغ
فيها لتاليف فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل
نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهمنا علم
منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم نظهره لنا الآن
ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود
لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضاً
بمعنى الحامد لنفسه والاعمال الطاعات وسمى
النبى صلى الله عليه وسلم محمد واحمد فمحمد بمعنى محمود
وكذا وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكثر
من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا
حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى
الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه
الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره
وكذلك المبين اى البين امره والوهيته بان وابانه
بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير المبين
وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا

بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا
ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى
الاول والمبين البين امره ورسالته والمبين
عن الله ما يعنيه به كما قال لتبين للناس ما نزل
اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور
اى خالقه او منورا لارض والسموات بالانوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد
وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك
لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة
وسماه سهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا
وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى اول
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث
المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما
بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم ومعنا
في الوسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم
ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان
الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه
وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووصفه في اول سفر

من التوراة

من التوراة عن اسمعيل وستلد عظيما وامة عظيمة
وهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار
ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان
وقيل المتكبر وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي
صلى الله عليه وسلم اما لصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفي عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر
التي لا يليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه
تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسئل به
خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير
هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل
النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل الله فالنبي
صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلم الله من مكنون
علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في
اخبارهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة
والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
بمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله

ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر
وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الزهرى
بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه
من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنائه على ربه
وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح
لابواب الرحمة على امته والفاتح ابصار المعرفة
الحق والايمان بالله او الناصر للحق والمبتدئ بهداية
الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم
كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء
فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى
فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل
القليل وقيل المثنى على المحسنين ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا
شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا
اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم
لازيدنكم ومن اسمائه العليم والعلام وعالم الغيب
والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم

بالعلم

بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر فمعناها
السابق للاشياء قبل وجودها والباقى بعدها
وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال صلى الله
عليه وسلم كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم
فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا
صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون
السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض
واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم
ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال
ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل
جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث المأثور
وورد فى الحديث ايضا اسمه عليه السلام الصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناها
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله
وقال صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مؤمن وقال
تعالى النبى اولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم

من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا
نبيه فى القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال
خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له
جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك وقال فى التورية والانجيل
فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى
وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى
الدلالة والدعاء قال تعالى والله يدعوا الى
دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الجميع من الميل وقيل من التقدم وقيل
فى تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدى
الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه
فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء
وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه
تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعده عباده
والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين
وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى الدنيا
من ظلمه والمؤمنين فى الاخرة من عذابه وقيل

المهيمن بمعنى المؤمن مصغر منه فقلبت الهمزة
هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه اسم
من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل
المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله
عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله
امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس فى شعره مهيمنا فى قوله رضى الله عنه
ثم اعتدى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطع
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله العتبى والامام ابو القاسم
القشيرى وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المؤمن
ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحديث وسمى بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس
وروح القدس ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه
عليه السلام المقدس اى المطهر من الذنوب
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر اولدى يتطهر به من الذنوب ويتنزه
باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ليخرجهم
من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهر من اوصاف الرذيلة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب

او الذى لا نظير له او لمعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله اى الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال
ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة منه وسماه
تعالى مبشراً ونذيراً وبشيراً اى مبشراً لاهل
طاعته ونذيراً لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى
فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضاً انها من اسماء محمد صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله وها انا اذاكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها
فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه
من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن سببه وهو
ان تعتقد ان [redacted] ان الله جل اسمه فى عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته
لا يشبهه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان
ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا تشبه
الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين
اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض وهو تعالى
منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه ولم

فهذا

فى هذا قوله ليس كمثله شى ولله در من قال
من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات
وزاد هذه النكتة الواسطى رحمه الله بياناً وهى
مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه
اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة
موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب
اهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم
وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى رحمه الله
قوله هذا ليزيده بياناً فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف نشبه ذاته
ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف
نشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انتفاع
او دفع نقص حصل ولا بخاطر واعتراض وجد
ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج
عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا
ما توهمتموه بأوهامكم او ادركتموه بعقولكم
فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى
من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمأن الى النفى المحض فهو معطل وان قطع
بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد

وما احسن قول ذى النون المصرى حقيقة
التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شئ
صنعه ولا علة لصنعه وما تصور فى وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق
والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله
والثانى تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشئ
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون نبتنا الله واياك
على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرق
الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه ورحمته الباب الرابع فيما اظهره الله
تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات قال القاضى ابو الفضل حسبك المسائل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر نبوته نبينا
صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج
الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز
والتحدى وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
وردّه بل القناه لاهل ملته المبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا فى محبتهم له وضمانة
لوعدهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونبتنا
ان نثبت فى هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته

لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق
والصحيح الوسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع فى مشاهير كتب الائمة
واذا تامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه
وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصوب
مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وشدة
هذا غير واحد فى اسلامه والايمان به فروينا
عن الترمذى وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله
بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا
به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا ابو الحسين
الصيدفى وابو الفضل بن خيرون عن ابى يعلى
البغدادى عن ابى على التنوخى عن ابن محبوب عن
الترمذى ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفى
ومحمد بن جعفر وابن ابى عدى ويحيى بن سعيد
عن عوف بن ابى جميلة الاعرابى عن زرارة بن
اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابى رمثة
التميمى قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى
ابن لى فعاريته فلما رايته قلت هذا نبى الله صلى الله
عليه وسلم وروى مسلم وغيره ان ضماد لما وفد
عليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده

ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله قال له
اعد على كلامك هو لاء فلقد بلغنى قاموس البحر
هات يدك ابايعك وقال جابر بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فاخبرانه راى النبى
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شى
تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا
وسقاً من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
قلنا بعناً من رجل لا ندرى من هو ومعاظعينة
فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا
فجاء رجل بتمر فقال انا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وكالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك
عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد
دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخيرا الا كان
اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له
وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى
بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبى وقال لقطبه
فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل
قرآناً كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة
لكان منظره ينبيك بالخبر وقد ان ناخذ
فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى
معجزات القران وما فيه من برهان ودلالة
فصل اعلم ان جل اسمه قادر على خلق المعرفة
فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته
وجميع تكليفاته ابتداءً ودون واسطة لو شاء
كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء وذكره بعض
اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحياً وجائز ان يوصل اليهم
جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون
ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة
مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم
ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يحل
وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجز
مع التحدى من النبى قائم مقام قول الله صدق
عبدى فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض
فمن اراد تتبعه وجده مستوفى فى مصنفات
المتكلمين رحمهم الله والنبوة فى اللغة من همز ماخوذة
من النباء وهو الخبر وقد لو تهمز على هذا التاويل

100

شهيداً والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه
واعلمه انه نبيه فيكون نبى منبأ فعيل بمعنى
مفعول او يكون مخبراً عما بعثه الله به ومنبئاً
بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون
عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض
معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند
مولاه منيفة فالوصفان فى حقه موتلفان واما
الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل
فى اللغة الا نادراً وارساله امر الله له بالابلاغ
الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه
قولهم جاء الناس ارسالاً اذا تبع بعضهم بعضاً
فكانه الزم تكريرا التبليغ او الزمت الامة اتباعه
واختلف العلماء هل النبى والرسول بمعنى واحد
او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو
الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبى فقد اثبت لهما معاً
الارسال قال ولو يكون النبى الا رسولاً ولو
الرسول الا نبياً وقيل هما مفترقان من وجه
اذ قد اجتمعا فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك
وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الرسالة التى
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا
وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الوصفين ولو كانا

واحداً لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ قالوا
والمعنى وما ارسلنا من نبى الى امة او نبى لغير
برهان الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتداء ومن لم يات به نبى غير رسول
وان امر بالتبليغ والانذار والصحيح والذى
عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبى وليس كل
نبى رسولاً واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله
عليهما وسلم وفى حديث ابى ذر عنه ان الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر
ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم
ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
ولبسا عند المحققين ذاتاً للنبى ولو وصف ذات
خلافاً للكرامية فى تاويل لهم وتهويل ليس عليه
تعويل واما الوحى فاصله الوسائع فما كان
النبى صلى الله عليه وسلم يتلقى ما ياتيه من ربه
بعجل سمى وحياً وسميت انواع الالهامات
وحياً تشبيها بالوحى الى النبى وسمى الخط والحياً
لسرعة حركة يد كاتبه ووحى الحاجب واللحظ
سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً اى اوما ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا الى النجاة
وقيل اصل الوحى الستر والاخفاء ومنه
سمى الالهام وحياً ومنه قوله وان الشياطين

101

ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون فى صدورهم
ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها
وقد قيل ذلك فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنا تسميتنا ما جاءت به الانبياء
معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها

وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله دل على
صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم ونحوه
وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين
الاصابع وانشقاق القمر مما لو يمكن ان يفعله
احد الا الله فيكون ذلك على يد النبى صلى الله
عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه
ان ياتى بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التى
ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلت
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا
كما سنبينه وهى فى كثرتها لا يحيط بها ضبط
فان واحدا وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبى صلى الله عليه وسلم

قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم
واقصر السور اثنا اعطيناك الكوثر فكل اية
او اياة منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا
كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجئ النبى صلى الله
عليه وسلم وظهوره من قبله واستدلاله به
وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد
صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وانما جاء اعتراض
الجاحدين فى الحجة به فهو فى نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
قال بعض ائمتنا وتجرى هذا المجرى على الجملة انه
قد جرى على يديه عليه السلام ايات وخوارق
عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية فى جريان معاينها على يديه
ولو يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه
عجايب وانما خلاف المعاند فى كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمنابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا
من نبينا صلى الله عليه وسلم وضرورة لو تفاوت
معاينها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم احنف لتفاوت الاخبار الواردة عن كل واحد منهم

102

على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان
كل خبر بنفسه لو يوجب العلم ولو يقطع بصحته
والقسم الثاني ما يبلغ مبلغ الضرورة والقطع
وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواة
العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع
الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل والاول
صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة
عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما الشقاق
القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده
ولو يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله
صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلو يوهن عزمنا
خلاف اخر مخل عرا الدين ولا يلتفت الى سخافة
مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نزعم بهذا انفه ونبذ بالعراء سخفه وكذلك
قصة نبع الماء وكثير الطعام رواها الثقات
والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة ومنها ما رواه الكافة متصلا عمن
حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك
كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق

وفي غزوة بواط وغزوة الحديبية وغزوة تبوك
واما لها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر
عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه
ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما زاد فكوف
الساكت منهم كنطق الناطق اذهم المنزهون عن السكوت
على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة
ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على
بعض اشياء رواها من السنن والسير وعرف
القرآن وخطاء بعضهم بعضا ووهمه في ذلك
مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي
من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لو اصل لها ونبيت على باطل لو بد مع مرور
الزمان وتداول الناس واهل البحث من الكشف
ضعفها وجهول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار
الكاذبة والاراجيف الطارية واعلوم نبينا
صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طرقنا الواهية
تزداد مع مرور الزمان ظهورا ومع تداول
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء
نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة
وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه
بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة

103

وهذا حق لو غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا
القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله
وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد او قلة مطابقته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والوقوف على طرق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولو يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولو يحصل عند اغرفات
اكثر الناس يعلمون بالضرورة بغداد موجودة وانها
مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد
من الناس لو يعلمون اسمها فضلاً عن وصفها وهكذا
يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة
للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من
رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس
وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره
وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي
في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل
وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولو روعي اقوالهم
لو يعلم هذا من مذاهبهم فضلاً عن ما سواه وعند
ذكرنا احاد هذه المجوزات نزيد الكلام فيها بياناً

ان شاء الله **فصل في اعجاز القرآن العظيم**
اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز
منطوٍ على وجوه من الاعجاز كثيرة ونحصلها
من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها
حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام
وقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به
غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد
الالباب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة
وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فتخطيون
بديهاً في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الوتر ويهيجون الدمن ويحرثون الجبال
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون
الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً ومنهم
البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل

104

والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة واللفظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلوا بابين فلهما
في البلاغة اللجة البالغة والقوة الدامعة
والقدح الفالج والمهيع الناهج ليكون الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قدحوا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا
في الخطير والمهين ويفنوا في لغث والسمين
وتفاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم
والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
لو يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
على كل مقول وتظافرت ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة
فوايده مختار لفظه وهو اضح ما كانوا في هذا الباب
مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع
والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا

بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها
يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا اجمعين
ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفتري
اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاخبار اقرب
واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
والاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلاهم ويشتت نظامهم ويدم آلهتهم واباءهم
ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل
هذا اكثر عن معارضته محجوبون عن مماثلته
مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب
والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف
وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا

وبينك حجاب ولو تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والدعاء مع العجز يقولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا
فما فعلوا ولو قدروا ومن تعاطا ذلك من سخفائهم
كمسيلمة كشف عوراة بجميعهم وسلبهم الله ما الفوه
من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل البصيرة منهم
انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم
بل ولوا عنه مدبرين وانوا منذعنين من بين مهتد
وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل
والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيئسوا
منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر
على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو
بقائم على رأسه يستشهد شهادة الحق فاستخبره
فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ
اية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل
على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة

وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه الاية وحكي لو صمي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت
او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع
في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته
غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به
معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين بالعجز بلاغته وانت اذا
تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية واشباهها من الاولى بل اكثر

105

القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها
وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف
حروفها وتلاوم كلمها وان تحت كل لفظة منها
جملاً كثيرة وفضولاً جمة وعلوماً زواجر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها
وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو
في سرد القصص الطوال واخبار القرون
السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها
الكلام ويذهب ماء البيان اية المماثلة من ربط
الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف
وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا تردد
قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردادها
حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولو تفور
للنفوس من ترديدها ولو معاداة لمعادها
فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
العجيب والوسلوب الغريب المخالف لاساليب
كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاءت
عليه ووقفت مقاطع اياته وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولو بعده نظيره ولو
استطاع احد مماثلة شيء منه بل جارت فيه
عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع

او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القران رق
فجاءه ابو جهل منكراً عليه قال والله ما منكم احد
اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول
شيئاً من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشاً عند
حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا تكذب بعضكم بعضاً فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته
ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا
ولا وسوسة قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا
نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم
بقابلين من هذا شيئاً الا وانا اعرف انه باطل
وانا اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق
بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبيل
يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيداً الايات وقال
عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم
قد علمتم اني لم ازل شيئاً الا وقد علمته وقرانه
وقلته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت

107

مثله قط ما هو بالشعر ولو بالسحر ولو بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام
ابي ذر ووصف اخاه انيساً فقال والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد نا قض اثنى عشر شاعراً
في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت
فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على قراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه
شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب
بذاته كل واحد منها نوع اعجاز على التحقيق لتقدر
الغرب على الاتيان بواحد منها اذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها وانى
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض
المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة
والاسلوب وانى على ذلك يقول نبجة الاسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعاً ومن تفنن في علوم
البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم

يقول

يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه
واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاء جاء الموتى وقلب العصا وتسبيح
الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن القابسي الى انه
مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون
فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة
من اصحابه وعلى الطريق فخر العرب عنه ثابت
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو البلغ
في التعجيز واغرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء
مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لزم وهو بينة
واقمع دلالة واعلى كل حال فما اتوا في ذلك
بمقابل بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الانف واباية الضيم بحيث لو يؤثرون ذلك
اختياراً ولو برضونه لو اضطراراً والاقدام المعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة
لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد

108

ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره
فما حلوا فى ذلك خبيئة من نبات شفاههم
ولوانوا بنطفة من معين مياههم مع طول المدة
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل
ابلسوا فما ابسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث**
من الوجوه التى انطوى عليه من الوجوه
بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد
على الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم
فارس فى بضع سنين ودخل الناس فى الاسلام
افواجا فما مات النبى صلى الله عليه وسلم وفى
بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف المؤمنين فى الارض ومكن فيها دينهم
وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض
فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتى ما زوى لى منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لو يكاد يعد

من سعى فى تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لوسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم
وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام
فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة
من كلامه لوتشكيك المسلمين فى حرف من حروفه
والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية
وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الاية
وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية
فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم فى خلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك
وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الاية
وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله فى الدين وقد قال مبدأ ما قدره الله
واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك
المستهزئين فلما نزلت بشرا النبى صلى الله عليه
وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس

109

فكان كذلك على كثرة من يرام ضره و قصد
قتله و الوخبار بذلك معروفة صحيحة فصل
الوجه الرابع ما انباء به من اخبار القرون
السالفة و الامم البائدة و الشرايع الداثرة
مما كان لو يعلم منه القصة الواحدة او الفذ
من اخبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم
ذلك فيورده النبى صلى الله عليه وسلم على
وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك
بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علم
انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرأ ولا يكتب
ولو اشتغل بمدارسة ولو مثابرة لم يغلب عنهم
ولو جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب
كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر
ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين
ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء والقصص
وبدء الخلق وما فى التوراة والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها
ولم يقدروا على تكذيبه ما ذكر منها بل اذعنوا
لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن
شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له

وعرضهم

وعرضهم على تكذيبه وطول الحجاج عليهم
بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم
وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنتهم اياه
عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات
كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات
كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل وغير ذلك
من امورهم التى نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم
بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل
اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف
بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا
وابنى اخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض
المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة ربحى الى اقامة حجته وكشف دعوته
فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى قوله الظالمون ففزع ووبخ ودعا
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معرفته بما تجحده
ومتواطئ يلقى على قضيحته من كتابة يده ولم يؤثر
ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه
ولا ابدى صحيفا ولا سفرا من صحفه فاذا الله و

عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا
عن كثير **فصل هذه الوجوه الاربعة**
من اعجازه بينة لا يزاع فيها ولو مرية
ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه
اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم
انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولو قدروا على ذلك
كقوله لليهود قيل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج
فى هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم
انهم لن يتمنوه ابداً فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو تمناه
رجل منهم لا غص بريقه يعنى يموت مكانه
فصرفهم الله عن تمنيه وجرعهم ليظهر صدق
رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحى اليه
اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص
لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك
معجزته وبانت حجته قال ابو محمد لو صيلى
من اعجب امرهم انه لو يوجد منهم جماعة ولو واحد
من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم
يقدم عليه ولو يجب اليه وهذا موجود مشاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة

من هذا المعنى حيث وقد عليه استا فقه نجران
وابوا الوسلام فانزل الله عليه اية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها
ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبى والله وانه ما لاعن قوما
نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله
وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم يفعلون
فكان كما قال وهذه الاية ادخل فى باب الاخبار
عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها
فصل واما الروعة التى تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهم
على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام
ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته تؤلمه ايجاباً ونكسبه هشاشة
لميل قلبه اليه وتصديقه به قال الله تعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لاية ويدل على ان هذا نبى خص

انه يعترى من لم يفهم معانيه ولو يعلم بينهم
نفاسيره كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ
فوقف يبكى فقيل له مما بكيت فقال للتجانس والنظم
وهذه الروعة فراعت جماعة قبل الوسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به
ومنهم من كفر فحكى فى الصحيح عن جعفر بن مطعم قال
سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شئ
ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبى
ان يطير وفى رواية وذلك اول ما وقر الايمان
الوسلام فى قلبى وعن عتبة بن ربيعة انه كلم
النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خرق
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على فى النبى صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم
ان يكف وفى رواية فجعل النبى صلى الله عليه وسلم
يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد
عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبى صلى الله
عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى انوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمنى بكلام والله
ما سمعت اذناى بمثله قط والله فما دريت
ما اقول له وقد حكى عن غير واحد من ائمة

معارضته

معارضته انه اعترته وهيبة كف بها عن ذلك
فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع
فيه فمن بعيني يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك
فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس فى زمنه
فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر فى سورة الاخلاص
ليعدوا على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتنى خشية ورقة حملته على التوبة
والوستغفار والوانابة **فصل ومن وجوه**
اعجاز المعدودة كونه اية باقية لوتعهد
ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه
فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لوياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها
فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة اياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة
خمس مائة عام وخمس وسبع وثلاثين سنة
لوول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وجملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والمحدثين منهم كثير
والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشئ

112

يوثر فى معارضته ولو الف كلمتين فيما فضته
ولو قدر فيه على مطعن صحيح ولو قدم المتكلف
من ذهنه فى ذلك الو بزند شحيح بل الما تؤثر عن
كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه والنكوص
على عقبه فصل وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدى الامة فى اعجازه وجوها كثيرة
منها ان قارىء لا يمله وسامعه لا يمجه
بل الكتاب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده
يوجب له محبة لا يزال غضاً طرياً وغيره من الكلام
ولو بلغ فى الحسن والبراعة مبلغه يمل مع الترديد
ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات
ويؤانس بتلاوته فى الازمان وسواه من الكتب
لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها الحانا
وطرقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيط همم
على قرائها ولهذا وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل الذى
ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا يزيغ به
الاهواء ولا تلبس به الالسنة هو الذى لم يتمالك
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآناً عجباً
يهدى الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا ضبط

احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم
ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد راعى المتخذ لقول بعد ان يضع
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اولم يروا الذى
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذى انشاها اول مرة
ولو كان فيها الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه
من علوم التيسير وانباء الامم والمواعظ والحكم
واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم
قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شىء ونزلنا
عليك الكتاب تبياناً لكل شىء ولقد ضربنا للناس
فى هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنة
خالية ومثلا ومضروباً فيه بناؤكم وخبر ما كان
قبلكم وبناء ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد
ولا تنقضى عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط
المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع

113

عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه
ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه بنا الاولين
والاخرين وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة
وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه
فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى لوية تجمع فيه
مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف
ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه
مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول
وذلك انه احتج بنظم القران وحسن رصفه وايجازه
وبلاغته واتى بهذه البلاغة امره ونهيه
ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة
والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد
ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على
الافواه واوعى للقلوب واسمح في الاذان واحلى على الافهام
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها
تيسيره تعالى لحفظه لمتعلميه وتقريبه على من حفظه

قال الله تعالى

قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور الزمان وتطاول المدد والقران
ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها
مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ابتدائه
انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اخلق وجه
معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر
ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله
والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقت
الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون
من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه
وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع
ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل
ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصته

114

كل هذا في اوجز كلوم واحسن نظام ومنه الجملة
الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا
كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى
وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها داخل في باب
بلوغه فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه او
في باب تفضيل فنون البلوغة وكذلك كثير مما
قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله او
في اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة
التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران
وعجايبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل**
في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع
انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن
اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا
سراج بن عبد الله ثنا الوصيلي ثنا المروزي
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى
عن شعبة وسفين عن الاعمش عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد

ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض
طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر
ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد
فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال
رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم
من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسلوا فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك
نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى
الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل
الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه
غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس
وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير
بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الوجي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه
وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين
حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقة
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه

عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن
محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن
حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران
لوزدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة
والاولية مصرحة ولو يلتفت الى اعتراض محذول
بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء
ظاهر بجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل لنا
عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كان
علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع الارض
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين
وقد يكون من قوم بحيث ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم سحاب او جبال ولهذا
يجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض
وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها
جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون بعلمها
ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلة
والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد
يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك
واهتبل به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث النقاد
بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع

عظام تظهر في الوجان بالليل في السماء
ولو علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فارددها عليه الشمس شرقيها قالت اسماء
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء
في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة
وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي
روايته عن ابن اسحق لما اسرى برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة
التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم يجيء فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس **فصل في نبع الماء من بين**

116

اصابعه وتكثيره ببركته قال المؤلف
رحمه الله اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا
روى حديث ينبع الماء من بين اصابعه صلى الله
عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر
وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي
عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم خاتم بن محمد ثنا
ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك
عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه
فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
الوضاء يده وامر الناس ان يتوضأوا منه قال
فرأيت الماء ينبع من اصابعه فتوضأ الناس
حتى توضأوا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس
قتادة وقال باناء فيه ماء يسير اصابعه او كفه
يسير قال كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة وفي رواية
عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا
حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد
قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه
وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما
ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة

بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء
فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء
ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في
ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده
في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال
العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس
عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء
شجب فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم ففمزه وتكلم
بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما

قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلوت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا
فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى
وعن الشعبي قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا
يا رسول الله ماء غيرها فصبها في ركوة ووضع
اصبعه وسطها غمسها في الماء وجعل الناس
يجيؤن ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لو تنطرق
التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء
الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لو سكت على باطل فهو لوه
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماعة
له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له **فصل وقد يشبه هذا من معجزاته**
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسته ودعوته
فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل
في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين
وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين

بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده
فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن اسحق فاخرفوا من الماء ما له حس ثم الصوا عنه
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة
ان ترى ما ها هنا قد ملئ جناناً وفي حديث البراء
وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية
وهم اربع عشرة مائة وبئرها لو تركت حمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وانى
بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فامتلأ دعا
واما بصق فيها فجاشت فأرووا انفسهم وركابهم
وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق
ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهماً من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس
حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
في بعض اسفاره فدعا بالمبضأة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فثار الناس
حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الي انها كما
اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وورد
مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث
ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله

عليه وسلم خرج بهم معداً لاهل مؤتة عند ما بلغه
قتل اللوماء وذكر حديثاً طويلاً فيه معجزات وايات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غدٍ وذكر الميضاءة قال والقوم رهاء
ثلوث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لو قد جئتها احفظ
على ميضاءتك فانه سيكون لها نبأ، وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش وبعض اسفارهم
فوجه رجلين من اصحابه واعلمها انهما يجدان امراة
بمكان كذا معها بعير عليه فزادتان الحديث فوجدها
واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء
من فزادتيها وقال فيه ماشاء الله ان يقول ثم
اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس
فملوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيأ الا ملوه قال
عمران ويخيل الي انها لم يزدادا الا امتلاء، ثم امر
فجمع للمراة من الزواد حتى ملوا ثوبها وقال اذهبي
فانا لم ناخذ من مائك شيأ ولكن الله سقانا الحديث
بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها
نطفة من ماء فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا
ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث
عمر في جيش العشرة وذكرها اصابهم من العطش
حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه

وغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء، ورفع يديه فلم يرجعهما حتى قال السماء
فانسكبت فملوا ما معهم من انية ولم يجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان اباطالب قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز
عطشت وليس عندي ماء، فنزل النبي صلى الله
عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء
اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه
الاجابة بدعاء او باستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا

القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا الغساني
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن
بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلاً
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه
شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته
وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم
ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلاً
من قراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي
ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله

119

ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير
وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا كما هي وان عجيننا
ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبصق في العجين والبرمة ويبارك رواه عن
جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله
عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمها قال
وجئ بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبسطها في اوناء ويقول ما شاء الله
فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلأ ومن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاوناء
وحديث ابي ايوب انه ضيع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما كفيهما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين
من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال
ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة
بن جندب قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل

يقوم

يقوم قوم ويقعد اخرين ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث
انه عجن صاع من طعام وصنعت قشاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين
ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله سلمة
بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا
مخمصة اصابت الناس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الزواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك
واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز
ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء الا ملؤه وبقي منه قدر ما جعل اولهم
ولو ورده اهل الارض لكفاهم وعن ابي هريرة
قال امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له
اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا ونرغنا وهي
مثلها حين وضعت الوان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جمع

120

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا
وبقى كما هو ثم دعا بعيس فشربوا حتى رووا
وبقى كانه لم يشرب وقال انى ان البنى صلى الله
عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو اله
قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلوا البيت
والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر
جعل حبيبا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقى التور
نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين
وفى رواية اخرى فى هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا رهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال
ارفع فلا ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين
رفعت وفى حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن على
ان فاطمة رضى الله عنها طحنت قدرا لغدائها وزوجت
عليا رضى الله عنه فطلب البنى صلى الله عليه وسلم
ليتغدا معهما فامرها فغرفت منها الجميع فى نانية صحفة
صحفة ثم له عليه السلام ولعلى ثم رفعتا لعدد
وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر
عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس
فقال يا رسول الله ما هى لو اصوع قال اذهب
فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض

من التمر

من التمر وبقى بحاله من رواية دكين الاحمسى
ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن
مقرون الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب
من مزينة ومن ذلك حديث جابر فى دين ابيه
بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله
فلم يقبلوه ولم يكن فى ثمرها سنين كفاف دينهم
فجاءه البنى صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بجدها
وجعلها بيادر فى اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه
جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون
كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم قال
وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر
فى المزود قال فاتنى به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم
الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل
يدك واقبض منه شيئا ولا تكبه فقبضت
على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر
وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب منى فذهب
وفى رواية حملت من ذلك التمر كذا وكذا من
وسق فى سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية

121

في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة
ومنه ايضاً حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا
في قدح فاهدى اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة
قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب
شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله
عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روى
جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقول لها واشرب حتى قلت لا
والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ
القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه
وسلم شاة وكان عيال خالد كثيراً يذبح الشاة
فلا تبدو عياله عظماً وان النبي صلى الله عليه وسلم
اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها فدعا لخالد
ودعا له بالبركة فتتر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا
ذكر جبره الدولابي ومن حديث الزبير في
انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة
امداد وخمسة ويذبح جزوراً لوليمتهما قال فاتيته
بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة

ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك
فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلوا واطعموا
من عشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيساً
فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا
ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احداً لقيته الا
دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا
الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه
وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا
كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذا الفصل
الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم
واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهورة
لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن الحاضر
على ما انكر

فصل في كلام الشجرة وشهادتها بالنبوة واجابتها دعوته

حدثنا
احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجاز
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن

122

ابى القاسم البغوى ثنا احمد بن عمران الاخنسى
ثنا ابو حيان التيمى وكان صدوقا عن مجاهد
عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى
اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال
وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك
على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى بشاطئ
الوادى فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين
يديه فاستشهدها ثلوثا فشهدت انه كما قال
ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة قال سأل
اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم اية فقال له
قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت
تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابى
مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
فى ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابى ائذن لى
ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لى
ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفى الصحيح

وفى حديث

وفى حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيأ
يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادى على باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع
قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى
اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله
فالتأمتا وفى رواية اخرى فقال يا جابر قل
لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتأتى بصاحبتك حتى اجلس خلفكما
ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسى
فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبل والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة
منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا
وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض
مغازيه هل يعنى مكانا لحاجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادى بما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق

وقلهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركن ان يأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن
فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت الخمس يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى قل لهن
يفترقن فوالذى نفسى بيده لرأيتهن والحجارة
يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى
ابن سيابة كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم
فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر
فارودتين فانضمنا وفى رواية اثنتين
وعن عيلون بن سلمة الثقفى مثله فى شجرتين
وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم
على وفى حديث عبد الله بن مسعود اذنت
النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له
شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود فى هذا
الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه
الشجرة فقال يا شجرة فجاءت تجر عروقها فقامت

وذكر مثل

وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضى
ابو الفضل المصنف رحمه الله وهذا ابن عمر
وبريده وجابر وابن مسعود ويعلى ابن مرة
واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلى بن
ابى طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا
على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
عنهم من التابعين اضعافهم فصارت فى انتشارها
من القوة حيث هى وذكر ابن فورك انه صلى الله
عليه وسلم سار فى غزوة الطايف ليلة وهو
وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له يصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا
هذا وهى هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث انس ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه
وسلم وراه حزنا اتحب ان اريك اية قال نعم
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشى حتى قامت بين يديه قال ردها فلترجع
فعادت الى مكانها وعن على نحو هذا ولم يذكر
فيها جبريل قال اللهم ان كنت اوتيتنى اية فاتنى
بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وخبر صلى الله عليه
وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لو له
وذكر ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الاية فى شجرة دعاها

فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال لها
ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه
وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله
ان يعلم بها الوحوش فاوحى الله اليه
ان ايت وادي كذا فيه شجرة فادع غصناً منها
يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطاً حتى انتصب
بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع
كما جئت فرجع فقال يا رب علمت الوحوش على
ونحومنه عن عمر وقال فيه ارفى اية لو بالى من
كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا
العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال
ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال
هذا حديث صحيح **فصل في قصة حنين الجذع**
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع
وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي

وحديث

وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان
المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع
صوتاً كصوت العشار وفي رواية انس حتى
ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر
بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب
حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق
عن انس وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد
اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض
وعاد رفاتاً وذكر ابو سفر اعني ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق
الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه
وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه
وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه نبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك

في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرتك ثم اصغا له
النبي صلى الله عليه وسلم ليستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فياكل منتي اولياء الله واكون
في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اخبار
دار البقا على دار الفنا فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله للخشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه فكانه
فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر
حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن
ابي كريب وكريب وابو صالح ورواه عن ابن
بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه
عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه نضرة وابو الوداك
عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس
وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل
بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله
بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث
كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى
من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثيب على الصواب

فصل

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا

القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب
ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى
ثنا ابو احمد الزبيري ثنا اسرائيل عن منصور
عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه
وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد
ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن ورواه
مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في عمر وعثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه
السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
علي قبل انا لاعرفه الاسود وعن عايشة لما
استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر
بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول

وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن صلى الله عليه
وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث
العباس انا أشتمل عليه النبي صلى الله عليه وعلى
نبيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كسوه
اياهم بملاءته فأمنت اسكفه الباب وحوائط
البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه
وسلم فسبح وعن انس قال صعد النبي صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احداً فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد
معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضاً عن
عثمان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعداً قال ونسيت
الوشيين وفي حديث سعيد بن زيد ايضاً مثله
وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين
طلبته قريش قال له شبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله
فقال حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله
حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار

انا الجبار

انا الجبار انا الكبير المتعال ورجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس قال
كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مشبثة
الورجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل
يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول
جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى صنم
الا وقع لقفاه ولا وقع لوجهه حتى ما بقي
منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال
فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في
ابتداء امره اذ خرج تاجراً مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجداً له ولا يسجدان
لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس
مال الفيء اليه **فصل في الويات في ضروب**
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك
ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس

ثنا ابو الفضل الصفلي ثنا ثابت بن قاسم بن
ثابت عن ابيه وجده قالوا ثنا ابو العلاء احمد
بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا
مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجر فاذا
كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروى عن عمران رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي
قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا يا نبي الله فقال
واللوت والعزى لو امنت بك او يؤمن هذا الضب
وطرحه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من اوفى القيمة قال من يعبد قال الذي
في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر
سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال
فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين
وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة
عن ابي سعيد الخدري قال بينا راع يرعى
غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي
منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت

بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب
يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك
بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث
الناس بأنباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي
حديث ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة
فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك
وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه
عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى
قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها
حتى ترجع فاسلم اليه الرجل غنمه ومضى وذكر
قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك
وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها وكلم
الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه
كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه
بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب من هذا

128

انه جرى لابى سفين بن حرب وصفوان بن امية
مع ذئب وجداه اخذ ظبياً فدخل الظبى الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفين واللات والعزى
لئن ذكرت هذا بمكة لنتركنها خلوفاً وقد روى
مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل واصحابه
وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار
ضمه والشادة الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله
عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس
اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى
الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه
وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله
عليه وسلم وامرية وهو على بعض حصون خيبر
وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله
كيف بالغنم قال اخصب وجوهها فان الله
سيودى عنك امانتك ويردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم
حايط انصارى وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفى الحايط غنم فسجدت له الغنم فقال
ابو بكر نحن احق يا لسجود لك منها الحديث

وعن

وعن ابى هريرة دخل النبى صلى الله عليه وسلم
حايطا فجاء بغير فسجد له وذكر مثله ومثله
فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله
ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما
دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم رعاه
فوضع وشغره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه
وقال ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى
رسول الله الا عاصى الجن والانس ومثله عن
عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر اخر فى حديث
الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سالهم عن
شانه فاخبروه انهم اراد وا ذبحه وفى رواية
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى
كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى
الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل
من صغره وفاتوا لغم وقد روى فى قصة العضباء
وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها له
بنفسها ومبادرة العشب اليها فى المرعى وتجنب
الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل
ولم تشرب بعد موته حتى مات ذكره ابو سفر
وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبى
صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة

ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله
شجرة فنبتت بحذاه النبى صلى الله عليه وسلم
فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى
حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما
اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى صلى الله عليه
وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن فرط
قال قرب الى النبى صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس اوست اوسبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
اليه بايتهن يبداء وعزام سلمة قالت كان النبى
صلى الله عليه وسلم فى صحراء فاذا ذنبة يارسول الله
قال ما حاجتك قالت صاد فى هذا الاعرابى
ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم
فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه
الاعرابى وقال يارسول الله لك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدوا
فى الصحراء وتقول اشهدان لااله الا الله واشهد
انك رسول الله ومن هذا الباب ماروى ان نسخ
الوسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقى اوسد فعرفه
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
كتابه فهم ونحى عن الطريق وذكر فى منصرفه مثل

وفى رواية

وفى رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت
فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزنى
بمنكبه حتى اقامنى على الطريق واخذ عليه
السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها مبسما وبقى
ذلك الاثر فيها وفى نسلها بعد وماروى
عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى
اصابه بخيبر وقال له اسمى يزيد بن شهاب
فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا
وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبى
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى فى بئر
جرعا وغزا فمات واحديث الناقة التى شهدت
عند النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفى العنز التى
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عنكره
وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم
زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها هو الذى

130

ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام
وقد قام الى الصلاة فى بعض اسفاره لا تبرح
بارك الله فيك حتى تفرغ من صلوتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا منه حتى صلى صلى الله عليه
وسلم والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب ائمة

فصل فى احياء الموتى وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

حدثنا
ابو الوليد محمد بن رشد والقاضى ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمى وغير واحد سماعا واذنا
قالوا ثنا ابو على الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن الاعرابى ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة
عن ابى هريرة ان يهودية اهدت للنبى صلى الله
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل
القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتنى
انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت
نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا
ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت

اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روى
عن ابى هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرنى به
هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفى رواية الحسن
ان فخذها تكلمنى انها مسمومة وفى رواية ابى سلمة
بن عبد الرحمن فقالت انى مسمومة وكذلك
ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفى
الواقدى عن انس انه قال فما زلت اعرفها فى لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث
ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فى وجعه الذى مات فيه ما زالت
اكلة خيبر تعادنى فالان اوان قطعت ابهرى
وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع اكرامه
الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية
التى سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
فى ذلك عن ابى هريرة وانس وجابر وفى رواية
ابن عباس رضى الله عنهما انه دفعها لاولياء
بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف
فى قتله صلى الله عليه وسلم للذى سحره قال
الواقدى وعفوه عنه اثبت عندنا وروى

131

عنه انه قتله وروى الحديث البراء عن
ابى سعيد فذكر مثله الا انه قال فى اخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكر
اسم الله فلم يضرمنا احداً قال القاضى ابو الفضل
وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح
وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف
ائمة اهل النظر فى هذا الباب فمن قايل يقول
هو كلام يخلقه الله تعالى فى الشاة الميتة
او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله
فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها او نقلها
عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابى الحسن والقاضى
ابى بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد
الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا
ايضاً عن شيخنا ابى الحسن وكل محتمل والله اعلم
اذ لم يجعل الحياة شرطاً لوجود الحروف
والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم
الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام
النفسى فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حى خلافاً للجبائى من بين
سائر متكلمى الفرق فى احالة وجود الكلام
اللفظى والحروف والاصوات الا من حى مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك فى الحصى والجذع والذراع وقال

ان الله

ان الله خلق فيها حياة وحرف لها فماً ولساناً
والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان
نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه
ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيأ
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لو ضرورة
اليه فى النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه
عن وهب بن عطية ان النبى صلى الله عليه وسلم
اتى بصبى قد نبت لم يتكلم قط فقال من انا
فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب
قال رايت من النبى صلى الله عليه وسلم عجباً جئ
بصبى يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه
وفيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صدقت
بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها
حتى نبت فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة فى حجة الوداع وعن الحسن
قال اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له
انه طرح بئية له فى وادى كذا فانطلق معه الى
الوادى وناداها باسمها يا فلونة اجيبى
باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك
عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيراً لى
منهما وعن انس ان شاباً من الانصار توفى ولم تم

132

عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت
مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى
ها جرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني
على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما
برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى
قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس
وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه
القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو
ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة
خر ميتا فى بعض ازقة المدينة فرفع وسجى
اذ سمعوه بين العشائين والمنساء يصرخن
حوله يقول انضتوا انضتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين
كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق
صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم دعا ميتا كما كان

فصل فى ابراء المرضى وذوى العاهات

حدثنا
ابو الحسن على بن مشرف فيما اجاز به وقراءة
على غيره ثنا ابو اسحق الجبال ثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الورد عن البرقى عن ابن هشام عن زياد

البكائى عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم
بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد
بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابى وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينا ولنخ
السهم لنا فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن
قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين
قتادة يعنى ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت احسن عينيه وروى قصته
قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عاصم
بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدرى
عن قتادة وبصق على اثر سهم فى وجه ابى قتادة
فى يوم ذى قرد قال فما ضرب على ولا قاح
وروى النساى عن عثمان بن حنيف ان اعمى
قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لى
عن بصرى قال فانطلق فتوضاء ثم صلى
ركعتين ثم قال اللهم انى اسالك واتوجه اليك
بنبيى محمد نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربى
ان يكشف لى عن بصرى اللهم شفعه فى قال
ورجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان
ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم

133

فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها
ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى
ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا هلكة
فسر بها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن
فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط
في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمى كلثوم
بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه فبراء وتفل على نجدة
عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي
يوم خيبر وكان رمدا فاصبح باريا ونفث
على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر
فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
الى الكعب حين قتل ابا لاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذا انكسرت
فبرى مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى
علي بن ابو طالب فجعل يدعوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد
وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء
فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن و

ومن روايته ايضا ان حبيب بن يساف
اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال
شقه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح واتته امراة من جشم
معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها يسقيه
ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل
عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امراة
بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج
من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه
وكانت في كف شريحيل الجعفي سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية
طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت
قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيأ فيمنعه
فلما استقر في جوفها القى عليها من الحياء
ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها

فصل في اجابة دعائه وهذا باب واسع

جداً واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة
ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
ابو محمد الغنابي بقراءتي عليه ثنا ابو القسم خالد
بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله
بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن
انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك
انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال
انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد
ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية
وما اعلم احداً اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطاً ولا ولد ولد ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجراً لرجوت ان اصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فخلف الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفاً وكن اربعاً وقبل مائة الف
وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على

وثمانين الفاً واوصى بخمسين الفاً بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق
يوما ثلثين عبداً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه نخل من كل شيء فتصدق بها
وبما عليها وبأقتابها واحلاسها ودعا لمعونة
بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد
الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او
ابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء
فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال صلى الله عليه وسلم
لابي قتادة رضي الله عنه افلح وجهك اللهم
بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة
وقال للثابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له
سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغراً
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا

195

لعبدالله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه
فما اشترى شيئاً الا ربح فيه ودعا للمقداد
بالبركة فكانت عنده عشرة ارؤس من المال ودعا
بمثله لعروة بن ابى الجعد فقال لقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفاً
وقال البخارى فى حديثه فكان لو اشترى
التراب ربح فيه وروى مثل هذا لعروة ايضاً
وندت له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ربح
حتى ردها عليه ودعا لام ابى هريرة فاسلمت
ودعا لعلى ان يكفى الحر والقر فكان يلبس
فى الشتا ثياب الصيف وفى الصيف
ثياب الشتا ولو يصيبه حر ولو برد ودعا
لفاطمة ابنته الا تجيع فما جاعت
بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال
اللهم نور له فنظع له نور بين عينيه فقال
يارب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف
سوطه فكان يضئ فى الليلة المظلمة فسمى
ذا النور ودعا على مضر فاخطوا حتى استعطفه
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى
حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له
بادية ولو بقيت لفارس رياسة فى اقطار
البلاد ودعا على صبى قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه

ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال
لعتبة بن ابى لهب اللهم سلط عليه كلباً
من كلابك فاكله الاسد وحديثه المشهور
من رواية عبدالله بن مسعود فى دعائه
على قريش حين وضعوا السلام على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال
فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم
ابن ابى العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند
النبى صلى الله عليه وسلم اى لوفراه فقال
كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات كسبع فلفظته الارض
ثم وورى فلفظته مرات فالقوه بين صدين
ورضموا عليه بالحجارة الصدجانب الوادى
وحجده رجل بيع فرس وهى التى شهد فيها خزيمة
للنبى صلى الله عليه وسلم فرثها الفرس بعد النبى
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذباً فلا تبارك له فيها فاصبحت
شاصية برجلها اى رافعة وهذا الباب اكثر
من ان يحاط به **فصل فى كراماته وبركاته**
وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره
اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروى اجازة
وثنا القاضى ابو على سماعاً والقاضى ابو عبدالله

محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا
ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا
البخاري ثنا يزيد بن ذريع ثنا سعيد عن قتادة
عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا فركب
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً
لابي طلحة كان يقطف اوبه قطاف وقال
غيره ببطاء فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحراً فكان بعد لا يجارى ويخص جمل جابر وكان
قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الا شجعي خفقها
بمخفقة معه وترك عليها فلم يملك راسها
نشاطاً وباع من بطنها باثني عشر الفاً وكانت
شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد
فلم يشهد بها قتالاً الا ورزق النصر وفي الصحيح
عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن الماموني
قال كان عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله
عليه وسلم نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها
واخذ جهجاة الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبتيه فضاع به الناس فاخذته

الوكلة فقطرها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوء في بئر فيها فما نزفت بعد
وبرق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له
بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه
اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين
لسانه فمضاه فكفا يبكيان عطشا فسكتا
وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله
عليه وسلم سمناً فامرها النبي صلى الله عليه
وسلم ان تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي
مملوة سمناً فاتيها بنورها يسلونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فيجد فيها سمنا
فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل
في افواه الصبيان المراضع فيخرجهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما مسه وغرسه
لسلمان حين كاتب مواليه على ثلاث مائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى
اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه
وسلم وغرسها له بيده الا واحدة غرسها
غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه

137

الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطت
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعدان اراد ها
على لسانه فوزن منها لموالية اربعين اوقية
وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش
بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق اولها وشربت اخرها
فما برحت احد شبعها اذا جعت وريها اذا
ضمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه
العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً وقال
انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك
عشراً ومن خلفك عشراً فاذا دخلت بيتك
فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاله العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه
لعكاشة جدل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفاً
صارماً طويل القامة ابيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله
بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه غسيب
فرجع في يده سيفاً ومنه بركته في درور

الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة
ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة ابن
وعنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعدان
اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا
فحلبوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى
مثل هذه القصة عن غير واحد منهم السايب
بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعقبة بن عمرو قد
طيب يغلب طيب نسائه لون رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت
الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين
ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح
على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك
وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم ومارت يده
عليه من شعره اسود فكان يدعى لوعز وروى
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح
وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه
قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده

138

على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان
حنظلة يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبى
صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم وتضح
فى وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء
فما يعرف كان فى وجه امراة من الجمال مايها ومسح
على راس صبى به عاهة قبرأ واستوى شعره
وعلى عينى احد من الصبيان المرضى والمجانين
فبرئوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء
من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس قال لم يتوف
النبى صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك
فى صدره الا ذهب المس الجنون ومج فى دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة
من تراب يوم حنين ورمى بها فى وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانهزموا يمسحون
القذا عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه
ففعل فما نسى شيأ بعد وما روى عنه فى هذا
كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له
وكان ذكرله لا يثبت على الخيل فصار من افرس
العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد
بن الخطاب وهو صغير وكان ذميما ودعا له
بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب
وما يكون والاحاديث فى هذا الباب
لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة
من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل
الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيوب حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى اجازة
وقرائة على غيره قال ابو بكر ثنا ابو على الشترى
ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللولوى ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابى شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن
ابى وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ
يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا
حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابى هؤلاء
وانه ليكون منه الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر
الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه
عرفه ثم قال حذيفة ما ادرى انسى اصحابى
ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضى الدنيا
يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا
باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا

139

منه علماً وقد خرج اهل الصحيح والائمة
ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به
من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهورالامن حتى
تظعن المراة من الحيرة الى مكة لاتخاف الا الله و
ان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد من علي
في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا وكنوز
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث
بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين
فرقة الناجية منها واحدة وانهم سكون لهم
انماط ويعدوا احدهم في حلة ويروح في اخرى
ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون
ببيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث
وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم
رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وقارس حتى لا كسرى ولا قارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون
الى اخر الدهر وبذهاب الاشل فالاشل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن
والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه

رويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها وكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين
ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجه حيث
لا عمارة وراءه وذلك لم تملكه امة من الامم
ولم يمتد في الجنوب ولا في السماء مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم
الغرب لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب وهي
الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقدود
المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر
من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم
كذلك قيل يا رسول الله واين هم ببيت المقدس
واخبر بملك بني امية وولاية معوية ووصاه
واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج والعباس
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما نال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب
هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار
يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان
فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن
ينسب اليه من الروافض كفروه وقال لقيل عثمان

وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصاً وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه
على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر
ما دام عمر حياً وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح
كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل
حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت تخلص على
عايشة عند خروجها الى البصرة وان عماراً
تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك
وويل لك من الناس وقال في رمضان وقد اجنب
مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال
في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة انكم موتى في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتاً هرم وخرف
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في خطبة
الغسيلي رضي الله عنه سلوا ازواجه عنه فانى
رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه
خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد
رضي الله عنه ووجدنا راسه يقطر ماء وقال
الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش
ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوها الحجاج والمختار وان مسيلمة
يغفر الله وان فاطمة اول اهله لحوقاً به واندر

بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم
ملكاً فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال
ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكاً عضوضاً ثم يكون عتواً وجبروتاً
وفساداً في الارض واخبر بشان اويس القرني
وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون
في امتي ثلاثون كذاباً فيهم اربع نسوة وفي حديث
اخر ثلاثون دجالاً كذاباً اخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك
ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيكم ويضربون رقابكم
ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا
والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يد
اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت
سميتهم لكم بنوفلان وبنوفلان واخبر بظهور
القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة
اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام
فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق جماعة وانهم
سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج
وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم

التحليق ويروى رعاء الغنم رؤس الناس
والفراة الخفاة يتباروون فى البنيان وان
تلد الامة ربتها وان ترينا والوحراب لا يغزونه
ابداً وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذى
يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى
البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة
وان الذين لو كان منوطاً بالثريا لنالته رجال
من ابناء فارس وهاجت ريح فى غزاته فقال
جئت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة
وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضربت
احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب
القوم يعنى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتداً
يوم اليمامة واعلم بالذى غل خرزاً من خرز
يهود فوجدت فى رحله وبالذى غل الشملة
وحيث هى ناقته حين صلت وكيف تعلقت بالسجة
بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة
وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه
على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير
الى النبى صلى الله عليه وسلم قاصداً لقتله
واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الوثر والسر اسلم واخبر بالمال الذى
تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال
ما علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل

ابى بن خلف وفى عتبة بن ابى لهب انه يأكله
كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال فى الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله
بين فئتين ولسعد لعلك ان تخلف حتى
ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون
واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر او ازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو
بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا
من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق
فيروز القصة اسلم واخبر باذ زبطريه
كما كان ووجده فى المسجد نائماً فقال له
كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد
الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وعيشه
وحده ويموت وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقاً اطولهن يداً فكانت زينب لطول
يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف
واخرج بيده تربته وقال فيها مضجعه وقال
فى زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى
الجنة فقطعت يده فى الجهاد وقال فى الذين
كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبى وصديق
وشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست
سوارى كسرى فلما اتى بهما لعمر البسهما اياه

142

وقال الحمد لله الذى سلبها كسرى وابسها
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصرات يجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعنى ببغداد وقال سيكون
فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى تقتل فئتان دعواها واحدة
وقال لعمر فى سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابى بكر
يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطب
بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصايرهم وقال
لخالد حين وجهه لكيدر انك تجده يصيد
البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته
وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم
الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم
واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم و
قولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده
من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه
بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم
وكونه فى مشط ومشاطة فى جف طلع
نخلة ذكر وانه التى فى بئر ذروان فكان
كما قال قال ووجد على تلك الصفة واعلامه

قريشا باكل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا
بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها لم تقع
فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر
الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم
بغيرهم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت
وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به
من الحوادث التى تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت
مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة
وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار
الابرار والفجار والجنة والنار وعرضات
القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا
اليه من نكت الاحاديث ذكرناها كفاية واكثرها
فى الصحيح وعند الائمة **فصل فى عصمه الله**
تعالى له من الناس وكفايته من اذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا
اعداؤه المشركين وقيل غير هذا وقال
انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين

143

كفروا الويه اخبرنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ
ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالوا ثنا
ابو الحسن الصيدفي ثنا ابو يعلى البغدادي
ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو العباس المروزي ثنا
ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم
بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري
عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه
من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمني ربي عز وجل وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني
فقال الله فارعدت يدا الاعرابي وسقط سيفه
وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الاية وقد روينا هذه القصة في الصحيح
وان غورث بن الحارث اسلم صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع
الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له

يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته
فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى
انه وقع له مثلها في غزوة عطفان بذي امر
مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل
اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغزوه وكان
سيدهم واجمعهم قالوا له ابن ما كنت تقول
وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل
دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف
فعرفت انه ملك واسلمت قبل وفيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي
ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يقتل
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا
وهو قائم على راسه مشتصبا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من لحقه
زلخة بين كتفيه ونذر سيفه من يده الزلخة
وجمع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر انه
نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم الاية وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع الغضاة
وهي حمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكانما يطوفها كثيبا أهيل وذكر ابن اسحق عنها
انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم انت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه
ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليها
لم تراو ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله
عليه وسلم فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص قال تواعدنا على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا راياه سمعنا صوتا
خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع
الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى
اذا راياه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا
وبينه وعن عمر قال تواعدت انا وابو جهل
بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتح وقرالحاقة
ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهل
على عضد عمر وقراهار بين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاة
التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب

على

على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن زوجته
في الغار بما هيا الله له من لويات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف
حين قالوا ندخل الغار ما اريكم فيه وعليه
من نسج العنكبوت ما ارى الا انه قبل ان يولد
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت
قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام
وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين
الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل
فاندر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه
دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت
ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوايمها مثل الدخان فاداهم بالامان
فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا
كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاجار
وامره النبي صلى الله عليه وسلم الا يزال
احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم
ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي

145

فادعوا الى فنجا ووقع فى نفسه ظهور النبى
صلى الله عليه وسلم وفى خبر اخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج ليشتد بعلم قريشا فلما ورد
مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع وانسى
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما
ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل يضحك وهو ساجد
وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت
بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع
القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع
قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه
فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لى دونه
فحل ما رايت مثله قط هم بى ان ياكلنى
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك
جبريل لو دنى لاخذه وذكر السدى
ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره
فلم ير النبى صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه
وذكر ان فى هاتين القصتين نزلت انا جعلنا
فى اعناقهم اغلالا الاية ومن ذلك
ما ذكره ابن اسحق فى قصته اذ خرج الى بنى
النضير فى اصحابه فجلس الى جدار بعض طامهم

فابتغث

فابتغث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه
رحا ففام النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقضتهم وقد قيل ان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت وكان
السدى قد ذكر انه خرج الى بنى النضير يستعين
فى عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن امية
فقال له حيى بن اخطب اجلس يا ابا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبى
صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر ونوافر
حيى معهم على قتله فاعلم جبريل النبى صلى الله
عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته
حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى
الحديث عن ابى هريرة ان اباجهل وعد قريشا
لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليطان
رقبته فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم
اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال
لما دنوت منه اسرقت على خندق مملوء نارا واهولا
اهوى فيه وابصرت هولا عظيما وحفوفا
اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام
تلك الملائكة لو دنا لو خطفته عضوا
عضوا ثم انزل على النبى صلى الله عليه وسلم

146

كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة
ويروى ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان
الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد
فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى
شواظ من نار اسرع من البرق فولیت هاربا
ولحسن بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي
فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي
ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي
واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو قال
اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال
افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده
على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى
ما خلق الله شيأ احب الي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس
حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه
انت فلم يره فعل شيأ فلما كلمه في ذلك قال له

والله

والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعثروه
لقريش واخبروهم ببسطوته بهم وحضوهم
على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره
ومن ذلك نصره بالرعب امامة مسيرة
شهر كما قال صلى الله عليه وسلم **فصل**
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له
من المعارف والعلوم وخصه به
من الوطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته بامور شرايعه وقوانين دينه
وسياسة عباده ومصالح امته وما كان
في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم
الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم واتيام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف ادائهم والمعرفة بمددهم
واعمارهم وحكى حكمائهم ولمحاجة كل امة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين
بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه
الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ
فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ

لوبا مها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضروب
الومثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
الغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد
الشرع الذى لوتنا قص فيه ولو تخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الوخلاق ومحامد
الوداب وكل شئ مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد
ذو عقل سليم شيأ الومن جرهة الخذلون بل كل
جاحد له وكافر من الجاهلية بدا واسمع يدعوا
اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار اجلا الى الوحتواء على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرايض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ
اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها
قدوة واصولا فى علمهم كقوله عليه السلام
الرؤيا لوول عابر وهى على رجل طاير وقوله
الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورويا يحدث بها الرجل
نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله
اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب
وقوله اصل كل داء البردة وما روى عنه

فى حديث

فى حديث ابى هريرة من قوله المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان
هذا حديثا لوتصحه لضعفه وكونه موضوعا
تكلم عليه الدار قطنى وقوله خير ما تداويتم
السعوط واللدود والحجامة والمشى وخير
الحجامة يوم سبعة عشر وتسعة عشر ولحدى
وعشرين وفى العود الهندى سبعة اشفية
وقوله ما ملؤ ابن ادم وعاء شرا من بطن
الى قوله فان كان لوبد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل
عن سباء ارجل هوام امراة ام ارض فقال
رجل ولد عشرة يتا من منهم ستة وتشاء و
اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه فى نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب
على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا
فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب وتابعها
ومدحج هامتها وغلصمتها والوزد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والوض وقوله فى الحوض زواياه
سواء وقوله فى حديث الذكر وان الحسنة
بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان
والف وخمس مائة فى الميزان وقوله ومزيم ضيع

نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعينية اوا لو فرغ
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه اذكر للملى هذا مع انه صلى الله عليه
وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتى علم كل شئ
حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله لوتمدوا ببسم الله الرحمن
الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس
وقوله فى الحديث الاخر الذى يروى عن معاوية
انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء
وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق
علم هذا او يمنع الكتابة والقراءة واما علمه
صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظ معانى
اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم
كقوله فى الحديث سَنَهْ سَنَهْ وهى حسنه بالحبشية
وقوله يكذا المهرج وهو القتل بها وقوله فى حديث
ابى هريرة اشكنبد ردم اى وجع البطن
بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا
ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدروس

والعكوف

والعكوف على الكتب ومثابرة اهلها عليها
وهو رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب ولم يقرأ
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين
قوم لهم علم ولا قراءة لشئ من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشئ منها قال الله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون وانما كانت غاية معارف العرب
النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان
وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك
والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه
وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه
وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشئ مما ذكرناه
ولا وجد الكفرة حيلة فى دفع ما قصصناه
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر
فرد الله قولهم بقوله لسان الذى يلحدون اليه
اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة
للعيان فان الذى ينسبوا تعليمه اليه اما سلمان
او العبد الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة
ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا يتعذر
من الآيات واما الرومى فكان اسلم وكان
يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى اسمه
وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم الفصحاء

اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضته
ما اتى به والوتيان بمثله بل عن فهم ارصفه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف بالعجمى الكن
نعم قد كان سلمان او بلعام الرومى او عيسر
او جبر او يسار على اختلافهم فى اسمه بين اظهرهم
يكلمونه مداعارهم فهل حكى عن واحد منهم شئ
من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك
وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده وقوة
طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فاخذ
عليه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحج به
على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان
يمخرق به من اخبار كتبه لوغاب النبى صلى الله عليه
وسلم عن قومه ولو كثرت اختلافاته الى يهود
اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين اظهرهم يرعاى ضعفه على عادة ابنائهم ثم
لم يخرج عن بلدهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل
فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف
الكثير بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفقة
عشيرته لم يغب عنهم ولو خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم او اختلاف الى حبر او قس
او منجم او كاهن بل لو كان هذا يعد كله لكان
مجئ ما اتى به فى معجز القرآن قاطعا لكل عذر

ومعرضا

ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملوكة

والجن وامداد الله له بالملوكة وطاعة الجن له
ورؤيته كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
الاية وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم
فثبتوا الذين امنوا وقال واذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الاية وقال
وَاِذْ صَرَفْنَا اِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْاٰنَ
الاية حدثنا سفين بن العاص الفقيه سماعا
عليه ثنا ابو الليث السمرقندى ثنا عبد الغافر
الفارسى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابن سفين
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابى ثنا شعبة
عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله
قال لقد راى من آيات ربه الكبرى قال راى
جبريل فى صورته له ستمية جناح والخبر
فى محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم
من الملوكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور
بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته
جماعة من اصحابه فى مواطن مختلفة فراى اصحابه
جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسئله
عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة

بن زيد وغيرهما عنده جبريل في صورة
دحيه ورأى سعد على يمينه وعلى يساره
جبريل وميكائل في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى
تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى ابو سفين بن الحارث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والارض يقدم
لها شي وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن
الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم
لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى
عبد الله بن مسعود الجن سمع كلامهم وشهم
برجال الرط وذكر ابن سعد ان مصعب
بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على
صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له
تقدم يا مصعب فيقول له لست بمصعب
فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده
عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فرد عليه فقال صلى الله عليه وسلم لعمر الجن
من انت قال انا هامة بن الهيثم بن لاوذان بن
ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث

طويل

طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه
سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد
عند هدمه العزى السوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت
علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب
ملكا الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته
ما تراددت به الاخبار عن الرهبان والاحبار

وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته
واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن
لوي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف
من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
وعثمان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما في
من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه

العلماء وبيّنوه ونقله عنها ثقات من اسلم
منهم مثل ابن سلام وابنى سعبة وابن
يامين وبحيرق وكعب واشباههم ممن
اسلم من علماء يهود وبحيرا ويضطور للحبشة
وصاحب بصرى وضفاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشى وبضارى
للحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك
هرقل وصاحب رومه عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ
صاحبه وابن صوريا وابن لخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاوة والاصرار وهذا
كثيرة لو نحصر وقد وقرع يهود والنصارى
بما ذكرانه فى كتبهم من صفته وصفت اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة
على الكاذب فما منهم الا من نفر عن مباهلته
وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو
وجد واخلاف قوله لكان اظهاره اهون
عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب

الديار وبند القتال وقد قال لهم
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما اندر به الكرها مثل شافع بن كليب
وستق وسطيح وسواد بن قارب وغيره
وافعى نجران وجدل بن جذل الكندى
وابن خلصة الدوسى وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لو يتعد كثرة الى
ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور
وما وجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة
والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور
واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل ومن ذلك ما اظهره من الايات عند مولده وما حكته امه وبن حضنه من العجايب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رات من النور الذى خرج معه عند ولادته وما رات اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاص من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء عوف بن عبد عبد الرحمن بن عوف

152

لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور
الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظهراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها
وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض
بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها
الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه
ابي طالب واله وهو صغير شبعوا وروا
فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان
سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح
هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا الخبر
قالت ام ايمن خاضنته ما رايته عليه السلام
شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض
الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما
خصه الله به من ذلك وحماه حتى في سنه
في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ
ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة
وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه

فقال

فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت
عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام
في سفره وفي رواية ان خديجة ونساءها
رأيته لما قدم وملكان يظلانه فذكرن
ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ
خرج معه في سفره وقد روى ان حليمة
رضي الله عنها رات غمامة تظله وهو عند ها
وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك
انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت
شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت
هي فاشرفت وتدلت عليه اغصانها تخفض
ما اراه وميل في الشجرة اليه في الخبر الاخر
اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب
كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تجنيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه
بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي
بيته وان بين بيته ومنبره روضة من
رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كرامانه
وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده
على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك
الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله

وندائهم الذى سمعوه الا تنازعوا القميص
عنه عند غسله وما روى من تقرير الخضر
والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر
على اصحابه من كرامته وبركته فى حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته
فصل قال القاضى ابو الفضل قد بينا
فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علومات نبوته مقنعة فى واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى
ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفصل المقصد ومن كثير الاخبار
وغريبها على ما صح واشتهر او يسير من غريبه
مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد
فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا
الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل
على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل
بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبى معجزة
الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها
او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فان اردته فتامل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا القرآن

وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك
الكوثر اواية فى قدرها وذهب بعضهم الى
ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون
ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت
من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا
لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل
ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه واذا كان هذا ففى القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة وينيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات
فيخرج القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد
منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه
وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب
فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه
المخبرة للخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها
بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب

154

التضعيف هذا فى حق القرآن فلا يكاد
يأخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه صلى الله عليه وسلم فى هذه الابواب
وعما دل على امره مما اشرنا الى جملة يبلغ
نحو امن هذا الوجه الثانى وضوح معجزاته
صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل
كانت بقدرهم اهل زمانهم وبحسب الفن
الذى سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى
بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن فى قدرتهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اعنى ما كان
الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم او لا يقدرون
عليه واتاهم مالم يحتسبوه من احياء الميت
وابراء الاكمه والابرص دون معالجة
ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم
ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة
البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل
عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول
من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب

والاسلوب

والاسلوب العجيب الذى لم يهتد وا فى
المنظوم الى طريقه ولا علموا فى اسالب
الاوزان منهجة ومن الاخبار عن الكوائن
والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدا العدو
فابطل الكهانة التى يصدق مرة وتكذب
عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون
السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة
والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا
العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها
فى معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة
بينة الحجة لكل امة تأتى لا يخفى وجه ذلك
على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى ما
اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور
مخبره على ما اخبر فيجد الايمان ويتظاهر
البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة فى اليقين والنفس اشد طمانينة الى
عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان

155

كل عندها حقاً وسائر معجزات الرسل
انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا يبيد
ولا ينقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا
اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي
ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد
عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي
من الآيات ما مثله امن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحياً اوحاه الله الي
فارجو اني اكثرهم تابعاً يوم القيمة هذا
معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد
من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى
آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً
لا يمكن التخيل فيه ولا التخيل عليه
والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل
قد راى المعاندون لها باشياء طمعوا
في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة

حبالهم

حبالهم وعصيهم وشبه ذلك مما يتخيله
السحرا ويتخيل فيه والقرآن كلام ليس
للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان
من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات
كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعراً
وخطيباً بضرب من الحيل والتمويه والتاويل
الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل
الثاني ما يغمض الجفن عليه ويفضي
وجه ثالث على مذهب من قال
بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور
البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي
اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس
مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون
بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعاً
فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو
من جنس مقدورهم وارضاهم بالبذل والجزء
والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد بين اية للتعجز
عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم
والى هذا ذهب الاستاذ ابو المعالي الجويني وغيره

156

قال وهذا عندنا ابلغ فى خرق العادة
بالافعال البديعة فى نفسها كقلب العصا
حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر
بدأ ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك
بمزية معرفة فى ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد
ذلك صحيح النظر واما التحدى للخلائق مبين
من المستبين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعى
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق
عنها بمثابة ما لو قال نبى اتى ان يمنع الله القيام
عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام و
لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة وبالله
التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه
ظهور ايته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء
البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة
فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم
وغيرهم من القبط وبنى اسرائل وغيرهم لم يكونوا
بهذا السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون الهة ربتهم
وجوز عليهم السامرى ذلك فى العجل بعد
ايمانهم وعبد والمسيح مع اجماعهم

على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع
هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا
الذى هو ادنى بالذى هو خير والعرب على جاهليتها
اكثرها تعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله زلفا ومنهم من امن بالله وحده
من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل
عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول
بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم
لاول وهلة معجزته فامنوا به وازداد وكل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وهجروا
ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم
فى نصرته والى فى معنى هذا بما يلوح له رونق
ويعجب منه زيرج لو احتج اليه وحقق لكنا
قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك
وظهورها وبالله استعين

القسم الثانى
فيما يجب على الانام من حقوقه صلى الله عليه وسلم

قال الفقيه القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
فى اربعة ابواب على ذكرناه اول الكتاب

157

ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره
وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه

ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به
وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال
انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الاية فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين
لا يتم الايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه
قال الله عز وجل ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيراً

حدثنا

ابو محمد الحشني الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا
الامام ابو علي الطبري قال ثنا عبد الغافر
الفارسي قال ثنا ابن عمرويه قال ثنا ابن سفيان
قال ثنا ابو الحسين قال ثنا امية بن بسطام
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح عن العلاء
بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا

ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به
فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه والايمان بالنبي
صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالته
الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقه تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمداً رسول الله وقد زاده وضوحاً
في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وذكر
اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال
ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرن الايمان به عليه السلام
محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به
مضطر الى النطق باللسان وهذه الحالة
المحمودة التامة واما الحالة المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب

158

وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن
اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان
ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم وحقوا
بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار ونجى
عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان
فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام
المسلمين الذين لحكامهم على الظواهر بما ظهر
من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرايرولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق
بين القول والعقد ما جعل فى حديث جبريل
الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما
ان يصدق بقلبه ثم يحتم قبل اتساع
وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة
وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من
كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر
سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا
الوجه الثانيه ان يصدق بقلبه ويطول
مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها
جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا
اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه
مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى
يقارن عقده شهادة لسانه اذ الشهادة انشاء
عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد
ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا
هو الصحيح وهذه بدعة تقضى الى متسع من الخلاف
فى الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة
فيهما والنقصان وهذا التجرى ممتنع على مجرد
التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع
الى ما زاد عليه من عمل او قد يفرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته وتصميم اعتقاد ووضوح
معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسط
هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية
فيما قصدنا ان شاء الله فصل واما وجوب
طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه

159

فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك
مما اتانا به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله
والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وقال من يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين الاية وقال وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
طاعته ووزن طاعته بطاعته ووعد على الله
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال
المفسرون والائمة طاعة الرسول في لزوم
سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل
من رسول الا ليفرض طاعته على من ارسله اليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله
في فرايضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع
الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا قال الستر فدى يقال
اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية

والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال ثنا خاتم
بن محمد قال ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
قال ثنا محمد بن احمد قال ثنا محمد بن يوسف
قال ثنا البخاري قال ثنا عبدان قال اثنا
عبد الله قال اثنا يونس عن الزهري قال ثنا
ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد
عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني
ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول
من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته
امتثال لما امر الله به وطاعته له وقد حكى الله
تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه
ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى
قالوا ومن يابى يا رسول الله قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث
الاخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم

160

مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوماً
فقال يا قوم انى رايت الجيش بعينى وانى
انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا
وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل
من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى
وكذب بما جئت به من الحق وفى الحديث الآخر
فى مثله كمثل من بنى داراً وجعل فيها مأدبة
وبعث داعياً فمن اجاب الداعى دخل الدار
واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل
الدار ولم ياكل من المأدبة فالدار الجنة والداعى
محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمداً صلى الله
عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمداً صلى الله
عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل واما وجوب طاعته وامتثال
سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وقال فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وقال فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ إلى قوله تسليماً
اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم اذا

انقاد وقال لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
الاية قال محمد بن على الترمذى الاسوة فى
الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد
من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين
عنه وقال سهل فى قوله تعالى صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال بمتابعة السنة فامرهم
تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته فى الاية الاخرى
ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم
وما تنحل اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروى عن الحسن ان قوماً قالوا
يا رسول الله انا نحب الله وانزل الله تعالى
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
الاية وروى ان الاية نزلت فى كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن
اشد حباً لله فانزل الله الاية وقال الزجاج
معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول

طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله
لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وقيل
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العبد
طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد
لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله
للعبد رحمته له وارادته الجميل له ويكون
بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري
فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة
العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا
ابو الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا
خاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني قال ثنا
ابو بكر الاجري قال ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي
قال ثنا داود بن رشيد قال ثنا الوليد
بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان
عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين

عضوا

عضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة زاد في حديث جابر بعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه
وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عايشة رضي الله عنها صنع رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحمد الله تعالى ثم قال ما بال اقوام
يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحدوده
وفهمه وحفظه جامع القرآن ومن تهاون
بالقرآن وحدوده خسر الدنيا والاخرة امرت
امرت ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي
بالقرآن قال الله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه الاية وقال صلى الله عليه وسلم
من اقتدى فهو مني ومن رغب عن سنتي
فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله
عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاصي قال النبي
صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى
ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او
فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن
قال النبي صلى الله عليه وسلم عمل فيما
سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
يمتسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه
وسلم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين
ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم
يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم
واصحابي وعن انس قال النبي صلى الله عليه
وسلم من احيا سنتي فقد احباني ومن احباني
كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من احيا سنة من سنتي فقد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص

من اجورهم

من اجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة
لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيأ

فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بسيرته وهديه

فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن
الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ
قال ثنا سعيد بن نصر قال ثنا قاسم بن اصبغ
ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح قال
ثنا يحيى بن يحيى قال ثنا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سأل عبد الله
بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة
الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة
السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله تعالى
بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم
شيأ فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن
عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق
الكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على
دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بها
مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه

102

جهنم وساءت مصيراً وقال الحسن بن ابي
الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في
بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل
العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب
عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن
اي اللغة كما تعلمون القرآن
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب
الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين
فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن
فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
فقال لم اكن لادع سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر
ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب
عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابداً وما
على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان

مثله

مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك
اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة
ورقها فان اقتصاداً في سبيل وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا
ان يكون عملكم ان كان اجتهاداً واقتصاداً
ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب
بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يسأل بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحلفهم
على البينة وما جرى عليه السنة فكتب
اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن
عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رحمه الله
ليس لاحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه وتظر الى
الحجر الاسود وقال انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وراى عبد الله
بن عمر بدنة قد اشعرت في مكان فسئل عنه فقال
لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الجنيدي

من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق
بالبدعة وقال سهل المستترعى اصول مذهبنا
ثلاثة الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم
فى الاخلاق والافعال والاكل من الحلال
واخلاص النية فى جميع الاعمال وجاء فى تفسير
قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى ان
احمد بن حنبل رحمه الله قال كنت يوما فى جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام
الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا
يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدى بك فلت من انت
قال جبريل **فصل ومخالفة امره وتبديل**
سنته ضلالة وبدعة متوعد من الله عليه
بالعذاب والخذلان قال الله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى الاية **حدثنا** ابو محمد عبد الله
بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقرائتى
عليهما قالا انا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن

القابسى قال ثنا ابو الحسن بن مسرور
الدباغ قال ثنا احمد بن ابى سليمان قال
ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى
المقبرة وذكر الحديث فى قصة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال
فانا ديهم الا هلم الا هلم فيقال انهم
قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا
وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتى فليس منى وقال
من ادخل فى امرنا ليس منه فهو رد وروى
ابن ابى رافع عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه
الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادرى ما وجدناه فى كتاب الله اتبعناه وزاد
فى حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال
عليه السلام وجئ بكتاب فى كنف كنى يقوم
حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت ولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب الاية قال صلى الله
عليه وسلم هلك المتنطعون وقال ابو بكر رضى الله عنه

لَسْتُ تارِكًا شَيْئًا كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله
عليه وسلم يعمل به الا عملت به انى اخشى
ان تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب
الثانى فى لزوم محبته صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها الاية فكفى بها دلحظا
وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقها
عليه السلام اذ قرع الله من كان ماله واهله
وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره ثم فسقهم
بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تعالى
حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما اجازنيه
وهو مما قرأته على غير واحد قال ثنا سراج بن
عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا المروزى
ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن عليه عن عبد العزيز
صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من والده وولده والناس اجمعين وعن ابى هريرة
نحوه وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله

ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب
المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر
كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه
وسلم لانت احب الى من كل شىء الا نفسى التى
بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال
عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب
الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول صلى الله عليه وسلم عليه فى جميع
الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه الحديث فصل فى ثواب محبته
صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن
عتاب بقراءتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن على بن خلف ثنا ابو زيد المروزى
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان
ثنا ابى ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن
ابى الجعد عن انس رضى الله عنه ان رجلا اتى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله فقال ما اعددت لها قال ما اعددت

166

من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني
احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك فقال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين
فقال من احبني واحب هادين وابا هما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة
رفعت مع النبيين واني ان دخلتها لا اراك
فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ما يطرف
فقال ما بالك فقال بابي انت وامي يا رسول الله

امتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي
حديث انس من احبني كان معي في الجنة **فصل**
فيما روى عن السلف والائمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد قال ثنا العذري ثنا الرازي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة
ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي
يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن
ابي ذر تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم
عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت
ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى
اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول
هم اصلي وفصلي واليهم نحن قلبي طال شوقي
اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم
وروى عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق

167

لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه
يعني اياه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب
اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قاله للعباس ان اسلم احب الي من ان لو اسلم
الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار
قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحب
قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا
وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يتحرس فرأى
مصباحا في بيت وانا عجوز تنفش صوفا
وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون
الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار
باليت شعري والمنايا اطوار تغني النبي صلى
عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له
اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح
يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر بلال

هل تجمعني وحبيبي الدار

نادت

نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غدا
القي الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة
قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت
ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان في مكانك
تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله
ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة وانا جالس في اهلي فقال
ابو سفيان ما رأيت احدا من الناس يحب احدا
كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس
كانت المرأة اذا اتت النبي صلى عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بعض زوج ولا رغبة
بارض دون ارض ولا خرجت لا لحب الله ورسوله
ووقف ابن عمر على بنا الزبير بعد قتله فاستغفر له
وقال كنت والله ما علمت صواما قواما
تحب الله ورسوله **فصل في علامة محبته**
صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيأ
آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه
وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله
عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه
واولها الاقتداء به واستعمال سنته

واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بادابه فى عسره
ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله
تعالى والذين تبوأ الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة واسخاط العباد فى رضا الله
حدثنا القاضى ابو على الحافظ قال ثنا
ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادى قال ثنا ابو على
السنجى قال ثنا محمد بن محبوب قال ثنا
ابو عيسى قال ثنا مسلم بن خالد قال ثنا محمد بن
عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن زيد
عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك
قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بنى ان قدرت ان تمسى وتصبح ليس فى قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال لى يا بنى وذلك
من سنتى ومن احيى سنتى فقد احبنى ومن احبنى
كان معى فى الجنة فمن اتصف بهذه الصفة
كان فهو كامل المحبة لله ولرسوله ومن خالفها

فى بعض

فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله
عليه وسلم فى الذى حده فى الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يوتى به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله
ورسوله ومن علامات محبة النبى صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا
اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل
حبيب يحب لقاء حبيبه وفى حديث
الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا
يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه
ونقدم قول بلال وكما قال عمار قبل قتله
وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن
علاماته مع كثرة ذكره وتعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكماش
مع سماع اسمه قال اسحق التجيبى كان اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له
وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا و
توقيرا ومنها محبة من احب النبى صلى الله
عليه وسلم ومن هو بسببه نال دينه وصحابته
من الانصار والمهاجرين وعداوة من عاداهم

وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيأ
احب من يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم
في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما
وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال
من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله وقال صلى الله عليه وسلم الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
وقال لعايشة في اسامة بن زيد احبيه فاني
احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فالحقيقة من احب شيأ احب كل شيء
يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات
وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي
صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ
وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس طعاما
وابن جعفر ابو اسلمى وسالوها ان تصنع لهم

مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتيه ويصبغ
بالصفرة اذ راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من
خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال
كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهولاء اصحابه عليه السلام
قد قتلوا اجدادهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم
في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن
ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها
ان يحب القران الذي اتى به صلى الله عليه
وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى
قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران
وحبه للقران تلاوته وتفهمه والعمل به وحب
سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن
عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة
حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة
وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة
بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة

170

الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسال احد
عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن
فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه
لهم وسعيه فى مصالحهم ودفع المضار عنهم
كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا
رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
فى الدنيا وايثاره الفقر وانصافه به وقد قال
صلى الله عليه وسلم لابى سعيد الخدرى
ان الفقر الى من يحبنى منكم اسرع من السيل
من اعلا الوادى او الجبل الى اسفله وفى حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبى صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله انى احبك قال
انظر ماذا تقول قال والله انى احبك ثلاث مرات
قال ان كنت تحبنى فاعد للفقر تجفافا فذكر
نحو حديث ابى سعيد بمعناه **فصل فى معنى**
المحبة للنبى صلى الله عليه وسلم وحقيقتها
اختلف الناس فى معنى تفسير محبة الله ومحبة
النبى صلى الله عليه وسلم فكثرت عباراتهم
فى ذلك وليست ترجع فى الحقيقة الى اختلاف
مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعونى الاية وقال بعضهم محبة الرسول
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد
لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال
بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب
يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة
ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها
لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة
عقله وقلبه ومعانى باطنة شريفة كمحبة
الصالحين والعلما واهل المعروف والمأثور
عنهم السيرة الجميلة والافعال الحسنة
فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال
هولا حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة فى اخرين ما يؤدى الى الجلاء على الاوطان
وهتك الحرم واحترام النفوس ويكون محبته
اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانفاقه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها

171

فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب
كلها فى حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت
انه عليه السلام جامع لهذه المعانى الثلثة
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر
وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها
قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك
وقد مر منه فى اوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه هو
بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشراً ونذيراً وداعيا الى الله باذنه ويتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان
اجل قدراً واعظم خطراً من احسانه الجميع المؤمنين
واى افضال اعم منفعة واكثر فائدة من قيامه
على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم
والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه
وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا مما قدمنا
من صحيح الاثار وعادة وحيلة بما ذكرناه انفاً

لفاضته

لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال
فاذا كان الانسان يجب من منحه فى دنياه مرة
او مرتين معروفاً او استنقذه من هلكة
او مضرة مرة التأذى بها قليل منقطع فمن
منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يجب
بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر
عنه من قوام طريقته او فاضل بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كره شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب
واولى بالميل وقد قال على رضى الله عنه
فى صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره
عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل فى وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ولا على الذين
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا
لله ورسوله اذا كانوا مسلمين مخلصين
فى السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد
بقرائى عليه قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا

172

يوسف بن عبد الله قال ثنا ابن عبد المؤمن
قال ثنا ابو بكر النمار قال ثنا ابو داود قال
ثنا احمد بن يونس قال ثنا زهير قال ثنا سهيل
بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم
قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها
عن جملة اذا راه الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل
اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي
اسحق الخفاف النصح فعل الشئ الذي به الصلاح
والملامة مأخوذ من النصاح وهو الخيط
يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز
عليه والرغبة في محابته والبعد من مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان
والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده

وتعظيمه له وتفهمه والتفقه فيه والذب
عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له
فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال
ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا
واحياء سنته بالطلب والدب عنها ونشرها
والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال
ابو ابراهيم اسحق النجيبي نصيحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة
الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى
العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو بكر الاجري وغيره النصح لله
يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته
ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه
ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل
النفوس والاموال دونه كما قال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال
وينصرون الله ورسوله الاية واما نصحة
المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعليم سنته
والتفقه في شريعته ومحبة اهل بيته واصحابه

173

ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف
عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على
امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه
والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير
الثوار المعروف بالصفار رئى في النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل
بماذا قال صعدت ذروة جبل فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني
حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي
واما النصح لائمة المسلمين فمعاونتهم في الحق
ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على
احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم
عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم
في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه
غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره

وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الى الثلاث الايات وقال لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فاوجب تعالى توقيره وتعزيره والزام اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال
المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
تنصروه وقال الطبري تعينوه وقرئت
تعزروه بزايين من العز وتنهى عن التقدم
بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه
بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو الصحيح
تغلب وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل
ان يقول واذا قال فانصتوا له واسمعوا
وتنهوا عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا
بشيء من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره
ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله
ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه بعني

174

في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه
وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادي بعضهم بعضاً باسمه قال ابو محمد
مكي اي لا تنشابقوه بالكلام وتغلطوا له
بالخطاب ولا تناديوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف
ما يجب اي ينادي به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً على احد
التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا
ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد
بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم
الله بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين
ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي
صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت

هذه

هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون
حبط عمله واتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة
فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر رضي الله
عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك بعد هذا ابداً الا كاخي السرار وان عمر
كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية
حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن غسال بينا النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له
جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في
الانصار نهوا عن قولها تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم

قال

175

وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا
عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا
برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تقرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة
ومنعا للتشبيه بهم في قولها المشاركة اللفظية
وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه
عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا
القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي
سماعي عليهما في آخرين قالوا ثنا احمد بن عمر
ثنا احمد بن الحسين ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم
بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد
ثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب
عن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص
فذكر حديثا طويلا وفيه عن عمرو قال وما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق
ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه
ما اطقت لانه لم اكن املأ عيني منه وروى
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم

اليه

اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران
اليه وينظر اليهما يتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث
صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته
قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه ما يتوضأ
الا ابتدروا ووضوءه ولكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم ودلكوا بها
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة
الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا
تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه
النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل
محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط
يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف
اصحابه فما يريدون ان يقع شعرة الا في يد رجل
ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت
حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم

اليهم فى القضية ابا وقال ما كنت لافعل
حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى حديث طلحة ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله
عن من قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه
فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وفى حديث قيلة فلما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفى حديث
المغيرة كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
يفرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت اريد ان اسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الامر فما وخره سنين من هيبته

فصل واعلم ان حرمة النبى صلى الله عليه
وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم
كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه
السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه
وسيرته ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهل بيته
وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبى واجب على كل
مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع
ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ فى هيبته
واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه

ويتأدب

ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضى
ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضى الله عنهم حدثنا
القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الاسعردى وابو القاسم احمد بن بقى الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا
ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال ثنا
ابو الحسن على بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب
ثنا يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل ثنا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا فى
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا
المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الاية ومدح
قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا عبد الله استقبل القبلة
وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله
يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله

177

قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
الاية قال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني
ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال
وحج حجتين قلت ارمقه ولا اسمع منه غير انه
كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى
ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي
صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب
بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك
على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت ما انكرتم علي ما ترون لقد
ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء
لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى
ترحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد الصادق
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا
واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم
فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن
بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم

فننظر

فننظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهناء الناس واوقرهم فاذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان
من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه وروى عن قتادة انه كان
اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما
كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ورفعه
حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له
من الانصات عند قراءة الحديث ما يجب له
عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم فصل
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم

178

وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
ثنا ابو الفضل ابن خيرون ثنا ابو بكر البرقاني
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن
مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد
بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال
هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او
ما قرب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي
رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخ اوداجه
وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم
فجاءه وقال اتقلم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل
الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل ودرت انك
لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر

عنده

عنده حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك
بن انس لا يحدث بحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له
وحكاه مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا
حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضاء وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب
فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المطرف كان اذا اتى
الناس ما لكما خرجت اليهم الجارية فتقول
لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او
فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس
ثيابا جددا ولبس ساجه وتبخر ووضع على
راسه رداه وتلقا له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يتخرا بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا احدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال

وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم
او مستعجل وقال احب ان افهم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث
الا على طهارة متمكنا قال ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا الحديث على غير وضوء ونحوه
عن قتادة وكان الاعمش اذا حدث على غير وضوء
تيمم وقتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء
قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس
وتفرق عنه الناس قلت يا ابا عبد الله لقد
رأيت منك اليوم عجبا قال نعم صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن مهدي مشيت مع مالك يوما الى العقيق
فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت
في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأل جرير
بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم
فلم يجبه فقيل له انه قاض قال القاضي
احق من ادب وذكر ان هشام بن العازي طال
ما كان عن حديث وهو واقف فضربه عشرين

سوطا

سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا
فقال هشام وددت لو زادني سياطا وزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران كان قتادة
يستحب ان لا يقرأ احاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير
وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى الله
عليه وسلم وبره بر الله وذريته وازواجه
المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام
وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم
قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه
امهاتهم الاية اخبرنا الشيخ ابو محمد
بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله
ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم
بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني
ابي قال ثنا حاتم وهو ابن عقيل ثنا يحيى هو
ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه
عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن
زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا فقلنا
لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل

180

عقيل والعباس وقال عليه السلام
انى تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتى اهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما
وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل
محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هى معرفة مكانهم من النبى صلى الله عليه وسلم
واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن ابى سلمة لما نزلت انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك
فى بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم
هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وعن سعد بن ابى وقاص لما نزلت اية المباهلة
دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا
وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلى
وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت
مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك
الا منافق وقال للعباس والذى نفسى بيده
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله
ومن اذى عمى فقد اذانى وانما عم الرجل صنو ابيه
وقال للعباس اعد على يا عم مع ولدك تجمعهم لى

بملائة وقال هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء
اهل بيتى فاسترهم من النار كستر ى اياهم
فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت
امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن
ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما وقال ابو بكر
رضى الله عنه ارقبوا محمدا فى اهل بيته وقال
ايضا والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الى ان اصل من قرابتى
وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وحسينا وقال من احبنى ولحب هذين
واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان
معى فى درجتى يوم القيمة وقال صلى الله عليه
وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا
قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام
لام سلمة لا تؤذينى فى عايشة وعن عقبة بن
الحارث رايت ابا بكر رضى الله عنه وجعل الحسن
على عنقه وهو يقول بابى شبيه بالنبى ليس
شبيها بعلى وعلى يضحك وروى عن عبد الله بن
حسن بن قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة
فقال لى اذا كانت لك حاجة فارسل الى واكتب
فانى استحيى من الله ان يراك على بابى وعن الشعبى
صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قرب له
بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال

181

زيد حل عنه يا بن عم رسول الله فقال هكذا
نفعل بالعلماء فقيل زيد يا بن عباس وقال
هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر
محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطا ابن عمر راسه
وتقريبه الارض وقال لو راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي
دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها
حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وسالها
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
لابيه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن
زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه
لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له
لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منك وابيك واسامة احب اليه منك فاثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي
وبلغ معاوية ان كاتبا لبن ربيعة يشبه برسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار
قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما مرض
جعفر بن سليمان ونال وحمل مغشيا عليه
دخل عليه الناس فافاق وقال اشهدكم اني جعلت
ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال اني خفت
ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي منه
ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور
افاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته
في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي
لبداة بحاجة على قبلها لقرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض
احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس
مات فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم فنجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال
اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم اية فسجدوا واي اية اعظم من ذهاب
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي عليه السلام
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي
صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفي وفدت على ابو بكر وعمر فضعا بها

فصل ومن توقيره وبره عليه السلام
توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم
والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في
واحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن احسن الثنا ويلوت
ويخرج لهم اصوب المخارج اذهم اهل ذلك ولا يذكر
احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل نذكر جميع
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما ورا
ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار الى آخر السورة وقال
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الاية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم وقال رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا
القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل ثنا
ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان
بن عيينة عن زايدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي
حواش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايتهم اقتديتم وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذا الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث
جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم
اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير
اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب
عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال
مالك بن انس وغير من ابغض الصحابة وسبهم
فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر
والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان

183

من كانا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر
فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء
بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى
ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء
حتى يجبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث
خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ايها الناس اني راض عني ابي بكر فاعرفوا له
ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان
وعن علي وعن طلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله
غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبكم احد
منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة
غدا وقال رجل للمغالي بن عمران ابن عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله
عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان

يبغض

يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام
في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله
منه يوشك ان يأخذه وعنه عليه السلام
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة
وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني
الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب
الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر
كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم
وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروى عن كعب
ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له
شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل
ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره فصل ومن عظائمه واكباره
واعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده
وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما
لمسه عليه السلام اوعرف به وروى عن
صفية بنت بجدة قالت كان لابي محذورة

في مقدم راسه اذا قعدوا رسلها اصابت
الارض فقيل الا تحلقها فقال لم اكن باذن
احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعره عليه السلام فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة الكر
عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من
قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا تسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين وروى ابن عمر واضعا يده
على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر
ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك
رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول
استحي من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروى انه
وهب للشافعي كرايها كثيرا كان عنده فقال له
الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا
الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد
بن فضلونية الزاهد وكان من الغزاة الرماة
قال مسست القوس بيدي الا على طهارة
منذ لمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
القوس بيده وقد قال مالك فيمن قال تربة
المدينة ردية بضرب ثلاثين درة واريحبه

وكان له

وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب
عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام
في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاه
الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه
وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول
وقال عليه السلام من خلف على منبري كاذبا
فليتبوأ مقعده من النار وحدث ان ابو الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشا باكيا منشدا

نظم

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم دليلا
نزلنا على الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم رحيلا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الابصار
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

وبتنا من خير من وطي الثرا ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك
فقال العبد لا يمشي الا حيث مولاه راكبا

لو قدرت ان أمشي على رأسي لما مشيت على قدمي
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة وضجت عرصها بالتقديس
والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر
وانتشرت عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومنبواء خاتم النبيين حيث تفجرت
النبوة وابن فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة
واول ارض مست جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها
وتشتم نفحاتها وتقبل ربوعها وجداراتها نظم
يا دار خير المرسلين ومن به . هدى الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة . وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهدان مأنون محاجري . ومن تكلم الجدران والعرصات
لاعرفن مصوب شيبي بينها . من كثرة التقبيل والرشفات
لولا الاعادي والعوادي بينها . ابدا ولوسجا على الوجنات
لكن سأهدي من خميل تحيتي . لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة . تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات . ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى

ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون
على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته
يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم
فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة
الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم
اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري
الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة
وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي
ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي
ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه
وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله
عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها
السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا
كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك

186

ورعايتك متوّل له وكفيل به ويكون
هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام
بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
فصل اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت
لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة
والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى
ابو جعفر الطبري ان محل الاية عندنا على الندب
وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه الذي يسقط به الحرج وتأثم
ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا
ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام
وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار
المشهور من اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة
على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة
من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي
ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا
على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها
قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي

ابو عبد الله

ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك
واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة
يعقد الايمان لا يتعين في الصلاة وان من
صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض
عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي
امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاة
وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة
واما في الصلاة فحكى الامام ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة
وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر
وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى
عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا
القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ انكار هذه
المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة
وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري
والقشيري وغيرهما وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك
ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك

واهل المدينة وسفيان الثورى واهل الكوفة
من اصحاب الرأى وغيرهم وهو قول الجمل اهل
العلم وحكى مالك وسفيان انها فى التشهد اخر
مستحبة وان تاركها فى التشهد مسيء وشذ
الشافعى فاوجب على تاركها فى الصلاة الاعادة
واوجب سجتى الاده مع تعمد تركها دون النسيان
وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة
على النبى صلى الله عليه وسلم فريضة قال
ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة وقاله
محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار
وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة
فى الصلاة كقول الشافعى وحكى ابو يعلى
العبدى المالكى عن مذهب فيها ثلاثة اقوال
فى الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد
خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره
الشافعى فى هذه المسئلة قال الخطابى وليست
بواجبة فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف
الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه وقد شنع
الناس عليه فى هذه المسئلة جدا وهذا تشهد
ابن مسعود الذى اختاره الشافعى وهو الذى
علمه النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة

على النبى

على النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من
روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم
كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى
سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله
بن الزبير لم يذكروا فيه الصلاة على النبى صلى الله
عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان
النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما
يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابى سعيد
وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر
كما يعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفى حديث لا صلوة
لمن لم يصل على قال ابن القصار معناه كاملة
اولم يصل على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث
كلهم رواية هذا الحديث وفى حديث ابى جعفر
عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى
لم تقبل منه قال الدارقطنى الصواب انه
من قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين لو صليت
صلاة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه
وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل المواطن التى يستحب فيها الصلوة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويرغب من ذلك فى تشهد الصلاة كما قدمناه

وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا
القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا
الامام ابو القاسم البلخي قال ثنا الفارسي عن
ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب
عن ابي عيسى الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان
ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح
حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي
اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوا في صلوته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له
ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثناء
عليه بما هو اهله ثم ليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير
هذا السند بتحميد الله وهو صحيح وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة
معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله
منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه
وقال وعلى ال محمد وروى ان الدعاء محجوب
حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله
شيأ فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله

ثم يصلي

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليسال حاجته فانه اجدر ان ينجح وعن جابر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فان الراكب يملاه قدحه ثم
يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب
شربه او الوضوء توضا والا هراقه ولكن
اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب
واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته
فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب
والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء
بين الصلاتين على لا يرد وفي حديث اخر
كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاء الصلوة
على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي
رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب
دعائي ثم ابتداء بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فتقول اللهم اني اسالك ان تصلي
على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل
ما صليت على احد من خلقك آمين ومن مواطن

الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه وكتابه
او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم
انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره
ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال
لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل
فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد
ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله
وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا
وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة
عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة عليه
والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله
ويتبارك عليه وعلى اله ويسلم عليه وعلى اله
تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرج يقول مثل ذلك
ويجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن
دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم

قال

قال اذا لم يكن في البيت احد فقيل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت
ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن
في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد فقل
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واختصر
ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله
عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
وقد ذكرنا هذا الحديث اخرا القسم والاختلاف
في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا
الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها
من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها
عمل الامة ولم تتركها الصلاة على النبي واله
في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن
هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية
بني هاشم فضاهوا به عمل الناس في اقطار الارض

190

ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمه
بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان
يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك
قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء
عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند
سلامهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي
الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السماء

والارض من الملائكة وبني ادم والجن قال
مالك في المجموعة واجب للمأموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم فصل في كيفية الصلاة عليه
والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
بقراءتي عليه ثنا ابو الاصبغ القاضي عيسى بن
سهل ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن
واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى
ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه
عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على ال ابراهيم وبارك على
محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال
ابراهيم انك حميد مجيد وفي روايته مالك عن
ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابراهيم
وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي روايته
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وال محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة

191

بن عمرو وفي حديثه اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر
معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي
بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله سعدون
الفقيه قال ثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله
الحاكم عن ابي بكر بن دارم الحافظ عن علي بن احمد
العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن
عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند
رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن
على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد
وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى
علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبي وازواجه وامهات المؤمنين وذريته و
واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك
فقال صلوا واجهدوا في الدعاء ثم قولوا
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي
كان على يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس الا الله تصل
باهله اسبابه هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة

192

اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المجزول وجزيل عطايك المعلول
اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه
لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له
مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فضل وبرهان عظيم وعنه
ايضاً في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك
اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء
يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول
رب العالمين الشاهد المبشر الداعي اليك
باذنك السراج المنير عليه السلام وعن عبد الله
بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد
مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد
ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه
واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره واشياعه ومحبيه وامته وانصاره
وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم
تقبل بشفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وانه سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم
وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول
في دعائه اللهم اعط محمداً افضل ما سالك
لنفسه واعط محمداً افضل ما سالك له احد
من خلقك واعط محمداً افضل ما انت مسئول
الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول
اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم بارك على محمد

193

وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلاة
وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير
وقوله والسلام كما علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وفي تشهد على السلام على نبي الله السلام
على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله
السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر
لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولد وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا
الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث
الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة
ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه
لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي يختص بها ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة وقد ذكره ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة
على النبي اللهم ارحم محمدا وال محمد كما رحمت
على ابراهيم وال ابراهيم ولم يات هذا في حديث صحيح

وحجة

وحجة قوله في السلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل
في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه
والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث
ثنا ابو بكر بن معوية ثنا النسائي ثنا سويد بن
نصر ثنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال
اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن
بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا
علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه
عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن ابن
عمر عليه السلام ان جبريل ناداني فقال
من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن

بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل
فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك
سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس
بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد
بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل
المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي
وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه
السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن
عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر وعن ابي
بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله
اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي
قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت

فهو خير

فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال يا رسول الله فاجعل لك صلاتي
كلها قال فاذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن
ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فقلت
فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى يعتني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
صلاة الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال قال لي النبي صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
ات محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم
القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع
المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت
بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي
بعض الآثار ليردن على اقوام ما اعرفهم الا
بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان اولاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن

ابو بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
امحق كالذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من
لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واعنه
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي
قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا
ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ
قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابويه
عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
واظنه قال احدهما وفي حديث حزام ان النبي
صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسئل له معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله
عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله
قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يغفر منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه
او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن

ابي طالب عنه عليه السلام انه قال
ان البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن
جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل
علي اخطى به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا
ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة
ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن
ابي هريرة من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة
وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر
عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على
النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال

196

اذا صلى الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم
مرة فى المجلس اجزاء عنه ما كان فى ذلك المجلس
فصل فى تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلوة
من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا
القاضى ابو عبد الله التميمى ثنا الحسين بن محمد ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسه
ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرى ثنا حيوة
عن ابى صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن
قسيط عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله
على روحى حتى ارد عليه عليه السلام وذكر
ابو بكر بن ابى شيبة عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على
عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بلغته
وعن ابى مسعود ان لله ملائكة سياحين
فى الارض يبلغونى عن امتى السلام ونحوه
عن ابى هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة فانه يوتى به منكم فى كل جمعة
وفى رواية فان احدا لا يصلى على الا عرضت
صلاته على حين يقرغ منها وعن الحسن عنه
عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا على فان
صلاتكم تبلغنى وعن ابن عباس ليس احد من امة
محمد يسلم عليه ويصلى عليه الا بلغه وذكر بعضهم

ان العبد

ان العبد اذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن على اذا دخلت
المسجد فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على
حيث كنتم فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم وفى حديث
اوس اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان
صلاتكم معروضة على وعن سليمان بن سحيم
رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن
ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء
واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم فان الارض
لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلى على
الا حملها ملك حتى يوديها الى وبسميه حتى انه
ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل فى الامر
فى الصلاة على غير النبى وسائر الانبياء
عليهم السلام قال القاضى وفقه الله
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن
ابن عباس انه لا يجوز الصلاة على غير النبى
صلى الله عليه وسلم وروى عنه لا ينبغى الصلاة

على احدٍ الا على النبيين وقال سفيان يكره
ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض
شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى
على احدٍ من الانبياء سوى محمد عليه السلام
وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك
في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير
الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به
قال يحيى بن يحيى لست احد بقوله ولا بأس
بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم
واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وعلى
وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقاً
عن ابي عمران الفاسي روى عن ابن عباس رضي الله
عنه كراهية الصلاة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى
وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس
لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع
منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال

خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وكان
اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على
ال فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر
وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل
ال بيته وقيل الاتباع هم الرهط والعشيرة
وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل
اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية
انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد
قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد
بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته
على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على ال محمد يريد نفسه لانه كان لا يخلي الفرض
وثاني بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو
الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه
السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود
يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي
في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ

من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية
غيره ويدعوا لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وروى ابن وهب عن انس بن مالك كانوا يدعوا
لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات فقوم ابرار الذين يقومون
بالليل ويصومون بالنهار قال الفقيه القاضي
والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه
ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروى
عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند
ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم
وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزه
والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره
كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يرادفه
غيرهم سواهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال
والتابعين لهم باحسان رضي الله عنهم وقد قال
تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم
ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة

والمتشيعة

والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه
باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما انفردوا به
من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى
الدعاء والموجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام المظفر
الاسفرايني من شيوخنا **فصل في حكم زيارة
قبره عليه السلام وفضيلة من زاره
وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا** وزيارة
قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجمع
عليها وفضيلة مرغب فيها وروى عن ابن عمر
قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني
في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له
شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني

اي ناديا ذلك الجناب وطالبا للثواب
لنسلم غرض اخر في هذا الباب

بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى وكره مالك
ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف فى معنى ذلك فقيل كراهة الاسم
لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات
القبور وهذا يردّ قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها وقوله من زار قبرى فقد اطلق اسم الزيارة
وقيل ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور
وهذا ايضاً ليس بشئ اذ ليس كل زائر بهذه الصفة
وليس عموماً وقد ورد فى حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم ولم يمنع هذا اللفظ فى حقه تعالى وقال
ابو عمر ان انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة
وزرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم لاستعمال
الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تشويه النبى
صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان
بان يقال سلمنا على النبى صلى الله عليه وسلم
وايضاً فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب
شدّ الرحال الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب
هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد الى والاولى
عندى ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وانه قال زرنا
النبى لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم
لا تجعل قبرى وثناً يعبد بعدى اشتدّ غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة

هذا

هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل الملك
قطعاً للذريعة وحسماً للباب قال اسحق
ابراهيم الفقيه وما لم يزل من شان من حج المرور
بالمدينة والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعود الذى كان يستند
اليه وينزل جبريل بالوحى فيه عليه ومن عمره
وفضله من الصحابة وائمة المسلمين والاعتناء
بذلك كله وقال ابن ابى فديك سمعت بعض
من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبى
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله
وملائكته يصلون على النبى ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله عليك يا فلان ولم يسقط له حاجة
وعن يزيد بن ابى سعيد المهدى قدمت على عمر
بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى ايك حاجة
اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله عليه
وسلم فاقرئه منى السلام قال غيره وكان يبرد
اليه البريد من الشام وقال بعضهم رايت
انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة
فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف

200

قال مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على
النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدعوا ويسلم ولا يمس
القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان يقف
عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعوا ولكن
يسلم ويمضى قال ابن ابى مليكة من احب ان يقوم
وجاه النبى صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذى فى القبلة عند القبر على راسه وقال نافع
كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر
يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى السلام
على ابى بكر السلام على ابى ثم ينصرف وفى الموطإ
من رواية يحيى بن يحيى الليثى انه كان يقف على قبر
النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى وعلى
ابى بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبى ويدعوا
لابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر
قال القاضى ابو الوليد الباجى وعندى انه
يدعوا للنبى بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر
كما ورد فى حديث ابن عمر من الخلوف قال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام
على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى

وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك انك
على كل شئ قدير واحفظنى من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهى
ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت
ركعتاك فى غير الروضة اجزتاك وفى الروضة
افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتى
ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى
على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك وتسلم
على ابى بكر وعمر وتدعوا لهما واكثر من الصلاة
فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالليل
والنهار ولا تدع ان تاتى مسجد قباء وقبور
الشهداء قال مالك فى كتاب محمد وتسلم على
النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج
يعنى فى المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر
وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبى صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك

201

واذا خرجت فصل على النبى صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك
وفى رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه
ويقول اذا خرج اللهم احفظنى من الشيطان
الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى
توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك
وعن فاطمة ايضا كان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية
حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفى رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
اللهم افتح لى ابواب رحمتك ويسر لى ابواب
رزقك وعن ابى هريرة اذا دخل احدكم المسجد
فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لى وقال مالك فى المبسوط ولا يجب
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه
ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر

ان يقف

ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم
فيصلى عليه ويدعو له ولابى بكر وعمر
فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك فى اليوم
مرة او اكثر وربما وقفوا فى الجمعة او فى الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن احد
من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح
اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى
عن اول هذه الامة او صدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر
او ارادة قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا
قال وذلك رأى قال الباجى ففرق بين
اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا
لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام
اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال
لا تجعلوا قبرى عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد
الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا
يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية
يبدأ بالركوع قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله

202

عليه وسلم واجب مواضع النفل فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق
واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء احب الى من التنفل
في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما تقدم
وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة
وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال هو مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن
عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد
الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود
ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد
بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

عند

عند دخول المسجد وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم قال مالك رحمه الله وسمع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا
بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لو كنت من هاتين القريتين لاريتك
ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن
مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع
الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره
قال الفقيه القاضي حكا ذلك كله القاضي
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي
اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على الصلاة
فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما تخص به
المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت
بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام
ومسجد منا قال ابو هريرة عنه عليه السلام
صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي

203

اختلف الناس فى هذا الاستثناء على
اختلافهم فى المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك فى رواية اشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى
الحديث ان الصلاة فى مسجد الرسول افضل
من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلوة
الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى
صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه
بدون الف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب
صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة
فيما سواه فثانى فضيلة مسجد الرسول عليه
السلام بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا
مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر
المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى
تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب
وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الشافعى
عن الشافعى وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم
على ظاهره وان الصلاة فى المسجد الحرام
افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير
عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث
ابى هريرة وفيه وصلاة فى المسجد الحرام افضل
من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة وروى

قتادة مثله فيا تى افضل الصلاة فى المسجد
الحرام على هذا على الصلاة فى سائر المساجد
بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل
بقاع الارض قال القاضى ابو الوليد الباجى
الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة
وذهب الطحاوى الى ان هذا التفضيل انما هو
فى صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا
الى ان ذلك فى النافلة ايضا قال وجمعة
خير من جمعة ورمضان خير من رمضان
وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابى هريرة وابى سعيد وزاد
ومنبرى على حوضى وفى حديث اخر ومنبرى
على ترعة من ترع الجنة قال الطبرى
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روى ما بين
بيتى حجرتى ومنبرى والثانى ان البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث
كما روى بين قبرى ومنبرى قال الطبرى
اذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات
ولم يكن بينهما خلاف لان قبره فى حجرته وهو بيته

204

وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه
منبره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو ظاهر
والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده الملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك
وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون
فى الجنة بعينها قاله الدا ودى وروى ابن
عمر وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال فى المدينة لا يصبر على لا وابها
وشدتها احد الا كنت له شهيداً او شفيعاً
يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة
كالكير تنفى خبثها وتصفى طيبها وقال لا يخرج
احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيراً
منه وروى عنه عليه السلام من مات فى احد
الحرمين حاجاً او معتمراً بعثه الله يوم القيمة
لا حساب عليه ولا عذاب وفى حديث اخر
بعث من الامنين يوم القيمة وعن عمر من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن

بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا الى قوله امناً قال بعض
المفسرين امناً من النار وقيل كان ثامن من
الطلب من احدث حدثاً وجاليه فى الجاهلية
وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامناً على قول بعضهم وحكى ان قوماً
انوسعدون الخولانى المستير فاعلموه
ان كتامة قتلوا رجلاً واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقى بياض البدن فقال
لعله حج ثلاث حج قالوا نعم قال حدثنا انه من حج
حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن
حج ثلاث حج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحباً بك من بيت ما اعظمك
واعظم حرمتك وفى الحديث عنه عليه
السلام ما من احد يدعوا الله عند الركن
الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب
وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحسبه
يوم القيمة من الامنين قرات على القاضى الحافظ
ابو على رحمه الله حدثك ابو العباس العذرى
قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد
الهروى ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن

205

محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر
محمد بن ادريس قال سمعت الحميدى قال سمعت
سفيان بن عيينه قال سمعت عمرو بن دينار
قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشئ
فى هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار وانا فما
دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من عمرو الا استجيب لى قال
الحميدى وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشئ
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى
الا استجيب لى وقال ابو الحسن محمد بن الحسن
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيأ وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق

الا استجيب لى من امر الدنيا وانا ارجو ان
يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى وانا
فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على وانا
فقد دعوت الله باشياء كثيرة استجيب لى
بعضها وانا ارجو ان سعة فضله ان يستجيب لى
بقيتها قال القاضى ابو الفضل ذكرنا نبذا من
هذه النكت فى هذا الفصل وانا لم نكن من الباب
لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبى صلى الله عليه
وسلم وما يستحيل او يجوز عليه او يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه

قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افائن مات او قتل الاية وقال
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الاية فحض الله
عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا
الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقامهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى

206

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى لما كان
الا فى صورة البشر الذين تمكنهم مخاطبتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان
فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن
فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه
على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء
والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
اوامره ونواهيه ووعده ووعيده وتعريفهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسامهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارية
عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفنا ونعوت الانسانية واروا حهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر
متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات
الملائكة سليمة من التغير والافات
لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة و
رؤيتهم ومخاطبتهم ومخاتلتهم كما لا يطيقه

غيرهم

غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر لما طاقت البشر ومن ارسلوا اليه مخاطبتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح و
البواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل
الرحمن وكما قال تنام عيناى ولا ينام قلبى
وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى
ويسقين فبواطنهم منزهة عن الافات
مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه
جملة لن يكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج
الى بسط وتفصيل على ما ناتى به بعد هذا
فى الباب بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم

قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه اعلم ان الطوارى من التغيرات
والافات على اجساد البشر لا تخلوا ان تطرأ
على جسمه او حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار
وكله فى الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ

بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب
وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر
نظر اليهم الافات والتغيرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز
عليه جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع
على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما ياتي من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد
والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى
اليه ففي غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين
والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك والشك
والريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين
عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى له
باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب

وترك

وترك المنازعة لمشاهدة الاجمال فحصل له
العلم الاول بوقوعه وادراك العلم الثاني
بكيفيته ومشاهدته **الوجه الثاني**
ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤاله
ذلك من ربه فيكون قوله اولم تؤمن اي تصدق
بمنزلتك وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين
وقوة طمانينة وان لم يكن في اول شك
اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل
في قوتها وطريان التشكك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال
من النظر والخبر الى مشاهدة والترقي
من العلم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر
كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله
سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين
تمكناً في حاله **الوجه الرابع** انه لما احتج
على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عياناً **الوجه**
الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق
الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله
لطمئن قلبي عن هذه الامنية **الوجه السادس**
انه اري من نفسه الشك وما شك لكن

ليجاب فيزداد قربةً وقول نبينا عليه السلام
نحن احق بالشك من ابراهيم نفى لان يكون
ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن
هذا بابراهيم اى نحن موقنون بالبعث واحياء الله
الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك
منه اما على طريق الادب او بريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع
والاشفاق ان حملت فضة ابراهيم على اختيار
حاله او على زيادة يقينه فان قلت فما معنى
قوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الايتين فاخذ
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه
بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات
شك للنبى صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه
وانه من البشر ومثل هذا لا يجوز عليه جملة
بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن
ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة
المفسرين على هذا واختلفوا فى معنى الاية
فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك
الاية قال وفى السورة نفسها ما دل على
هذا التأويل قوله تعالى قل يا ايها الناس

ان كنتم

ان كنتم فى شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبى صلى الله عليه وسلم كما قال
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد
غيره ومثله فلانك فى قرية مما يعبد هؤلاء
ونظيره كثير كما قال بكر بن العلاء الافتراء
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا
اليه فكيف تكون ممن كذب به فهذا كله يدل
على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية
قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المأمور هنا
غير النبى صلى الله عليه وسلم ليسئل النبى
صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا
المستخبر السائل وقال ان هذا الشك
الذى امر غير النبى صلى الله عليه وسلم بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما فضة الله
تعالى من اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد
والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به
المشركون والخطاب مواجهته للنبى صلى الله
عليه وسلم قاله الفتبى وقيل معناه سل
عمن ارسلنا من قبلك فحذف الحافض وتم
الكلام ثم ابتدأ الكلام واجعلنا من دون
الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اى

209

ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقيناً من ان يحتاج الى
السؤال وروى عنه قال لا اسئل قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا اهل اديانهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله
اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى الم يأذن
في عبادة غيره لاحد رداً على مشركي العرب
وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم
بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس
المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد
يكون ايضاً على مثل ما تقدم اي قبل لمن امتدى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله في اول الاية افغير الله ابتغي حكماً الاية
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك
غيره وقيل هو تقرير كقوله انت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم
انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك
فاسئل تزدد طمانينة وعلماً الى علمك

ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك
وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب
وننشر فضائلك وحكى عن ابي عبيدة
ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا
فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيئس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلت المعنى في ذلك ما قالته عايشة رضي الله
عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا
ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم
كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل
ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والمعنى
لا على الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء
وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا
يذهبن بذلك من شاذ التفسير بسواه مما لا
يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة في
ابتداء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه
الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء
الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا

210

ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقاء
الملك ويكون قيل لقياه الملك واعلام الله
تعالى له بالنبوة لاقول ما عرضت عليه
من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبداية
المنامات والتباشير كما روى في بعض
طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا
في المنام ثم ارى في اليقظة مثل ذلك
تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة
بنيته البشرية وفي الصحيح عن عايشة
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرويا الصادقة قالت
ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حرا الحديث وعن ابن
عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق
عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حرا قال فجاني وانا
نائم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو
حديث عايشة في عظه له واقرابه اقرا
باسم ربك المسورة قال فانصرف عني

وهبيت

وهبيت من نومي فكانما صورت في قلبي
ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت
لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن
الى خالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذا سمعت
مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول
الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل
على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين
في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفاءه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل
انه عليه السلام قال قال لخديجة اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا الامر وفي رواية حماد بن سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع
صوتا واري ضوء واخشى ان يكون في جنون
وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه
الاحاديث انا لا بعد شاعرا ومجنون والفاظ
يفهم معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان
كله في ابتداء امره وقيل لقاء الملك له
واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد

اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح
فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي
اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى
بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل
عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه هو
فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك
قال اما الان فلا وحدث خديجة واختها
ام جبريل يكشف راسها الحديث انما ذلك
في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا الذي يأتيه ملك
وزوال الشك عنها لانها افعلت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله
بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد
بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة
ان ورقة امر خديجة ان تخذ الامر بذلك
وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما
جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي
وذكر الحديث الى اخره وفيه قالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت واب
وامنت به فهذا يدل على انها مستثبتة

بما فعله

بما فعله لنفسها ومستظهرة لايمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول مقسم
في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا
ذكر راويه ولا من حدث به ولان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من
جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل
على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل
ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصح
معنى هذا التاويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن
عبد الله ان المشركين لما اجمعوا بدار الندوة
للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها
فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها
المدثر وخاف ان الفترة لامر او سبب
منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي

عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فأراد يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له
بما وعدهم من العذاب وقول الله في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكي رحمه الله وان لا أضيق
عليه مسلكه في خروجه وقيل ظنه بمولاه
انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل يقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه
بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه
وقال ابو زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه
على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك
قوله اذ ذهب مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له
ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه
ان يسمعوه بالكذب ويقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك
فيما امره به من التوجه الى ما امره الله به
على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه السلام
غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك
مغاضبا وقد روي عن ابن عباس

ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه
الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه الى الاية ويستدل ايضا بقوله ولا تكن
كصاحب الحوت اذ نادى وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون
هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي واستغفر
في كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاحذر ان يقع بالك ان يكون
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه
عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يغشى
القلب ويغطيه قال ابو عبيد واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره
والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع
ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث
انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرنا
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد الاستغفار
لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى
غفوات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان

صلى الله عليه وسلم رفيع اليه من مقاساة المتعب
وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة
الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من
اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل
هذا من طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان
صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلوهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلوته وتفرده بربه بكليته عليه
ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام
حال فترته عنها وشغله بسواها عنها غضاً
من على حاله وحفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله
من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما سرنا اليه مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قررنا غامض
معناه وكشفنا للمستفيد وجه محياه وهو
مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو
فى غير طريق البلاغ على ما سبانى وذهبت
طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم
عن هذا جملة واجلة ان يجوز عليه فى حال
سهواً وفترة الى ان معنى الحديث ما يهجم
خاطره ويغمر فكره من مراقبته عليه السلام
لوهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم

قالوا

قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التى تغشاه لقوله تعالى وانزل الله سكينته
عليه ويكون استغفاره عليه السلام
عندها اظهاراً للعبودية والافتقار وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره
ليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن
وقد يحتمل ان تكون هذه الاعانة حالة خشية
واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكراً لله
وملازمة لعبوديته كما قال فى ملازمة العبادة
افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه
الاخيرة تحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث
عنه عليه السلام انه ليغان على قلبى فى اليوم
اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به
علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى آية
نبينا عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك
لجمعهم على الهدى وفى آية نوح لا تكونن ممن
يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق
اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله

وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهما ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين
كما قال اني اعظك ولست في اية منها دليل على
كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون
عليها فكيف واية نوح عليه السلام قبلها
فلو تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك فتجعل
ما بعدها على ما قبلها اولى ان مثل هذا يحتاج
الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله ان يسأله عما طوا عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم
اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله
انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكى كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالزام
الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عند ذلك
فيقارب حال الجاهل بنذة التحرج حكاه ابو بكر
بن فورك وقيل معناه الخطاب لامته محمد فلا يكونن
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال مثله
في القرآن كثير وهذا الفصل يوجب القول
بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا قلت
فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شئ
من ذلك فما معنى اذا وعيد الله نبينا عليه
السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع

من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا منه
باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله
يختم على قلبك وقوله فان لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه السلام لا يجوز عليه ان لا يبلغ
وان لا يخالف امر ربه وان لا يشرك ولا يتقول
على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن
يسر الله امره بالمكاشفة والبيان في البدء
للمخالفين وان ابلوغه ان لم يكن هذا السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله
والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون
لا تخافا انني معكما لتشد بصايرهم في البلوغ
واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
والمضعف للنفس واما قوله ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك

فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا
الوبة وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يجوز عليه ذلك وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله
ينهاه عما يشاء ويامره بما شاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الوبة وما كان طردهم عليه السلام
وما كان من الظالمين **فصل واما عصمتهم**
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خوض
والصواب انهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله وصفاته والشك في شيء
من ذلك وقد تقاصدت الاخبار والاثار
عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة كما بينا عليه في الباب الثاني من القسم
الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل
الاخبار ان احداً نبي واصطفي ممن عرف
بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عن من كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشاً قد رمت نبينا بكل ما اقدرته وغير كفار

الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته ثم نص الله
عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء
من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه الهته وترغبه
بذمه بترك ما كان فيه جاء معهم عليه ولو كان
هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلوته في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد
قبل اقطع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن
تركهم الههم وما كان يعبد ابا وهم من قبل فمتى
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا
سبيلاً اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما
لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم
وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
الوبة وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله
لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهرهم الله في الميثاق
وبعيدان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ
منه ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده
بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيراً
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملاه حكمة وايماناً كما تظاهرت

216

اخبار المبداء ولا يشبه عليك بقول ابراهيم
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل
كان هذا في الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقيل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام لوارد مورد الانكار والمراد فهذا
ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال تعالى اين شركائي اي عندكم ويدل على انه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرءيتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه
بقلب سليم اي سليم من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يوفني بمعونته لكي اسلم في ضد لكم
وعبادتكم على معنا الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم في الاول من الضلال فان قلت فما معنى
قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد فاوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
فافترقا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها فلو يشكل عليك لفظة العود وانما يقتضي

انهم

انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد
تأول في هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما له ليس
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الخضيين
عادوا حما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر
فعاد ابعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنا قوله ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل
وجدك بين اهل الضلال ففصلك من ذلك
وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا اي شريعتك اي لا تعرفها
فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان
عليه السلام يخلو بغار حراء فيطلب ما يوحيه
الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله تعالى الاسلام
قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك
اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله
علي بن عيسى قال ابن عباس لم يكن له ضلالة
معصية وقيل هذا اي بين امرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك
ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك
بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى

217

اى اهتدى بك وقال ابن عطا ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى والضلال المحبة كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند قوله انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدا بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين من المخطئين لفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الزهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت ما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان الرفث قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان يقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرائض ولا الاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد

بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم فكان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه وعند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى رواه ام ايمن حين كلمه عمه والده فى حضور بعض اعيادهم وعرضوا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كل ما دنوت منها منهم صنم تمثل لى شخص ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله فى قصة بحيرا حين استحلفه النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرة مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات النبوة فاخبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما ابغضت

218

قط بغضها فقال بحيراً فبالله الا ما اخبرتنى
عما اسالك عنه فقال سل ما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته عليه السلام وتوثيق الله
تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين
فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو
بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام
فصل قال القاضى ابو الفضل رضى الله
عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء
فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم
فى ذلك وعلى ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجائز عليها انها مملوة علما
ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة
والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه
ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل
ما قلناه وجده وقد قدمنا منه فى حق
نبينا فى الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما وراءه الوان لحوالهم فى هذه
المعارف يختلف فاما ما تعلق منها من امر الدنيا
فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على
خلاف ما هى عليه ولا وصم عليهم فيه اذ همهم
متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف

غيرهم

غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
كما سنبين هذا فى الباب الثانى ان شاء الله
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا
فان ذلك يؤدى الى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا
وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر فى
مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع
عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء وسيرهم فى هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبى
ان يعلمه ولا يجوز جهله جملة لانه لا يخلو
ان يكون حصل عقده ذلك عن وحى من الله
وهو لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له علم اليقين او يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ
على القول بجواز وقوع الاجتهاد منه فى ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة
انما اقضى بينكم برأيى فى ما لم ينزل على فيه
شئ خرجه النقاش وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على رأى بعضهم فلا يكون
ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا

وصحيحاً هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خلاف
من خالف فيه ممن اجاز عليهم الخطأ فى الاجتهاد
لا على القول بتصويب المجتهدين الذى
هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر
بان الحق فى طرف واحد لعصمة النبى صلى الله
عليه وسلم من الخطاء فى الاجتهاد فى الشرعيات
ولان القول فى تخطئة المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبى صلى الله عليه وسلم
واجتهاده انما هو فيما ينزل عليه فيه شئ
ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله
عليه وسلم قلبه فانما مالم يعقد عليه قلبه
من امر النوازل الشرعية فقد كان لم يعلم منها
اولا الا ما علمه الله شيأ شيأ حتى استقر
علم جملتها عنده اما بوحى من الله او اذن
ان يشرع فى ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان
ينتظر الوحى فى كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استقر علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة
فلم يصح منه الجهل بشئ من تفاصيل الشرع
الذى قرر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته
الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والارض وخلق الله وتعيين اسماء

الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط
الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحى فعلى
ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما
اعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس
عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم
انى لو اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله ولا خطر
على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من
قرة اعين وقول موسى يخضر هل اتبعك
على ان تعلمنى مما علمت رشداً وقوله صلى الله
عليه وسلم اسألك باسمائك الحسنى ما علمت
منها وما لم اعلم وقوله اسألك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او استأثرت به
فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى
وفوق كل ذى علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره
حتى ينتهى العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به
اذ معلومات الله تعالى لا يحاط بها ولا ينتهى لها
هذا حكم عقد النبى صلى الله عليه وسلم
فى التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة
النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان

وكفايته منه لو في جسمه بانواع الاذى
ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا
القاضي ابو علي الحافظ قال ثنا ابو الفضل
بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل
الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف
ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله
قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه
فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني
الا بخير وعن عائشة بمعناه وروى
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم بفتحها اي
انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام وصار
لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا
حكم شيطانه وقرينه المسلط على اغوائه
فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا قدر
على الدنو منه وقد جاءت الاخبار بتصدي

الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء
نوره واماتة نفسه وادخال الشغل عليه
اذ يئسوا من اعوانه فانقلبوا خاسرين
كتعرضه له في صلوته فاخذ النبي صلى الله
عليه وسلم واسره فوفى الصحاح قال ابو هريرة
عنه عليه السلام ان الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر
فشد علي ليقطع علي الصلاة فامكنني الله
منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى
سارية حتى يصبحوا ينظرون اليه فذكرت
قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا الويه فرده الله خاسئا وفي حديث
ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله
ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
وذكر بعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت
احده وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك
في حديثه الوسراء وطلب عفريت له يشغله
نا فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطاء ولما لم يقدر على اذاه بما شيرته
يتسبب بالتوسط الى عداه نقضيته مع قرينه
في الاتيمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم

221

ويصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة
اخرى في غزوة بدر في صورة سراقة
بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الاية ومرة يندر بشارة عند بيعة
العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى
عليه السلام كلما من لمسه فجاء ليطعن بيده
في حاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال
عليه السلام حين ثقل في مرضه وقيل له
حشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها
من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي
فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله
واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك
اي يستفزنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك
والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى
انه متى تحرك عليه غضب على عدوه اورام
الشيطان من اغوائه به وخواطر ادانى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان

يستعيذ منه فيكفي امره ويكون سبب
تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل
في هذه الاية غير هذا وكذلك لو يصح ان
يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها
والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لو يشك
النبي في ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له
او ببرهان يظهره على يديه ليتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل
فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى
هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني
هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها
اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا
للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان
فيما تلاوه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما نزل الله
ويشخه ويكشف لبسه ويحكم الله آياته

وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بابين
من هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندي
انكار قول من قال بتسلط الشيطان
على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل
هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة
بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي
ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه
السلام وقوله اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب انه لا يجوز لوحدان يتأول
ان الشيطان هو الذي مرضه والقاه البضعة
في يديه ولو يكون ذلك الا بفعل الله وامره
ليبتليهم ويريهم قال مكي وقيل ان الذي
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله
فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع عليه
السلام وما انسانيه الا الشيطان
وقوله عن يوسف عليه السلام فانساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه
السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادي
ان هذا وادٍ به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان
فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم
كل قبيح من شخص وفعل بالشيطان وفعله

كما قال

كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانه
شيطان وايضاً فان قول يوشع لم يكن منا
الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت
نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال
موسى لفتاه والمروي انما نبي بعد موت موسى
وقيل قبيل نبوته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكرانها
كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله انساه الشيطان قولين احدهما
ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد
صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر
الملك شأن يوسف عليه السلام
وايضاً فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوسوسة
ونزغ وانما هو اشغال خواطرهما بامور
آخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما
ما نسياه واما قوله عليه السلام
ان هذا وادٍ به شيطان فليس فيه ذكر
تسلطه عليه ولا وسوسته له بل
ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين اوردك
الشيطان بقوله ان الشيطان
اتاه بلا لو فلم يزل يهديه كما يهدأ الصبي

حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك
الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر
هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما
ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مسند
حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما اقواله عليه السلام
فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كانت
طريقه البلاغ انه معصوم فيه
من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به
لا قصداً وعمداً ولا سهواً وغلطاً اما
تعمد الخلف في ذلك فممتنع بدليل
المعجزة القائمة مقام قول الله صدق
فيما قال اتفاقاً وباطباق اهل الملة جملة
واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك
فهذه المسئلة عند الاستاذ ابو اسحق
الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة
الاجماع فقط وورد الشرع بانتفاء
ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني فلا في

ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض
الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين
انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما
اوحي اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على
غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى
والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله
الا حقاً ولنرد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
عليه بياناً فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقاً ولا يبلغ عن الله الا صدقاً
وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم
لا يبلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل
عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد
منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه
كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا
من غيره ولو اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص

224

فتنزيا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق
فصل وقد توجهت ها هنا اسئلة عن بعض
سؤلات منها ما روى من ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى
والفرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم
ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار
لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه
وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لا ينزل
عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفي رواية
اخرى ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه وذكر
هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه
السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك
بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسليته له وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا
ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما ولو غير

اصله

اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به
ويمثله المفسرون والمورخون المولعون
كل غريب المتلقطون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال
لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف
كلماته فقابل يقول انه في الصدرة واخر يقول
قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
واخر يقول قالها وقد صابته سنة واخر يقول
بل حدث نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان
قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر
يقول بل اعلم الشيطان ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا
انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت
عنه هذه الحكاية من المفسرين والمؤرخين
لم يسندها احد منهم ولو رفعها الى صاحب
الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع منه
حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال فيما احسب الشك في الحديث

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا حديث لا نعلمه يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا يزيد بن
خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا فيه من الضعف ما ينبه عليه مع
وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لو لم يكن به ولا
حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس هذا لو ثبت
من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة واجتمعت الامة على عصمته صلى الله عليه
وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من
تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله
وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه
حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله قادح
في حفظه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل

نفسه عمدا وذلك كفر او سهو وهو معصوم
في هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه
او لسانه لو عمدا ولو سهوا او ان يشبه عليه
ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان ويكون للشيطان
عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا
ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه وقال اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه قاف
وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك
ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد
النظام متناقض الاقسام ممتزج بالذم متخاذل
التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه
وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصنادبد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهو لا يخفى على
ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام وعلله ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندة
المشركين وصعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط
العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لو قال
فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفتنة
بعدا لفتنة وارتداد من في قلبه مرض ومن ظهر

الوسلام لا دفي شبهة ولم يحك احد في هذه
القصة شيأ سوى هذه الرواية الضعيفة
الا صل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على
المسلمين الصولة والا قامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك
ما روى في قصة القضية ولو فتنة اعظم من
هذا البلية لو وجدت ولو تشغيب للمعاند
حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما
روى عن معاذ فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بيت شفة فدل على بطلها واحتنان اصلها
ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس
والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين وجه رابع
ذكر الرواة لهذه القصة انها نزلت وان كادوا
ليفتنونك الا يتين وهاتان الايتان ترد
ان الخبر الذي رووه لو ان الله تعالى ذكر انهم
كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لو لا ان ثبته
لكاد يركن فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه
من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم شيأ قليلا
فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم
وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت

عليه ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وعلى
تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولو لا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء
وقد روى عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد
فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها
ولم يفعل قال الفشيري القاضي ولقد طالبه
قريش وثقيف اذ قربا لهتهم ان يقبل بوجهه
اليها ووعده الايمان به ان فعل فما فعل وما كان
ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول
ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية نفاسير اخر غير
ما ذكرناه من نص الله على عصمته رسوله ترد
سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
ورامو من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية
واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك
من حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين
باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل ان النبي صلى عليه وسلم

اصابته سنة عند قراءة هذه السورة فجرى
هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح
اذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من احواله
ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب
من جميع العمد والسهو وقول الكلبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسهى فلما اخبر
بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا
لا يصح ان يقوله عليه السلام لسهوا ولا قصدا
ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل
النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم
هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله
كبيرهم هذا بعد السلت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل
وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو
احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا
بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام
فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ترجيح في تأويله
عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امر ربه يرتل القرآن

ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما روي
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان تلك الكلمات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دناه اليه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك
عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك ما انزلها
الله وبتحققهم من حال النبي في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف منه وكل هذا يوجب ريبا
ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها انما القا
الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
لهذه الساعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى تلا قال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة
وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية
هو يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فيثبته ذلك ويرجع عنه وهذا نحو
قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال

228

اذا تمنى اى حدث نفسه وفى رواية ابى بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما يصح
فيما ليس طريقه تغيير المعانى وتبديل الالفاظ
وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط
آية منه او كلمة ولكنه لا يقع على هذا السهو بل ينبه
عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره فى حكم ما يجوز
عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر فيه تاويله
ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانيقة
فلما سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا
والمراد بالغرانيقة العلى وان شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبى
الغرانيقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا
يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله تعالى الله
عنهم وردّ عليهم فى هذه السورة بقوله الكم الذكر
وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء شفاعة
من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد
بذلك الذكر الصنم وليس عليهم الشيطان ذلك
وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم فنسخ الله ما القى
الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للوسواس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته
وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة وفى نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء وما يضل

الا الفاسقين وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة
للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان
الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الاية وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى خافت الكفار ان يأتى
بشئ من مدحها فسبقوا الى مدحها بتلك
الكلمتين ليخلطوا فى تلاوة النبى صلى الله عليه
وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبى
صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كيدهم
وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك
من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ورد
ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روى من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب
عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال
لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم
اكرمك الله انه ليس فى خبر من الاخبار الواردة

229

وفي هذا الباب ان يونس قال لهم مهلككم وانما
فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه ولكنه قال
لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان
ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الاية وروى في الاخبار
انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى
ما روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم
حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول
اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن
انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق

يا لباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عن من ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل
خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله
على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا العجب
لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سيره
وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم يرد على احد
من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه
شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك
هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث
انس وظاهر حكايته له فليس فيه ما يدل انه
شاهدها ولعله حكاها سمع وقد علل البزار
حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع
عليه ورواه حميد عن انس وقال اظن حميدا
سمعه من ثابت قال صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج
اهل الصحة حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رافع عن انس الذي
خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس
قول شيء من ذلك من قبل نفسه ولا من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها

230

قدح ولا توهم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر
من ان الكاتب قاله عليم حكيم او كتب له فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فسبقه لسانه
او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة
قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنه كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع
البيت ان يسبق الى قافيته او مبتداء الكلام
الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام
كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام اذا صح كل صواب فقد يكون
هذا مما كان فيه من مقاطع الاي وجهان و
قرآنان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه
وسلم فاملى احداهما ووصل الكاتب بفطنه
ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى قبل ذكر
النبي لها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله
عليه وسلم ثم لحكم الله من ذلك ما احكم ونسخ
ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي
مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور
وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلما جاء
على وجهين في غير المقاطع قرأهما معا
الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر
الى الطعام كيف ننشزها وننشرها ويقضي
الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون
فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيضاف الله عز وجل
ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل**
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما
ما ليس سبيل البلاغ من الاخبار التي
لا مستند لها الى الاحكام والاخبار
المعاد ولا تضاف الى وحي بل الى امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده
تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع
خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك
في حال رضاه وفي حال سخطه وجده وهزله
وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة

وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله
والثقة بجميع اخباره فى اى باب كانت وعن
اى شئ وقعت وانه لم يمكن لهم توقف ولو
تردد فى شئ منها ولو استثبات عن خالد عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابى
الحقيق اليهودى على عمر بن الخطاب رضى الله
عنه حين اجلاهم من خيبر يا فزار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليهم عمر بقوله
صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت
من خيبر فقال اليهودى كانت هزيلة من ابى
القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا
فان اثاره واخباره وسيره وشمائله معنى
بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد فى شئ منها
استدراكه واعترافه بوهم فى شئ اخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قضته عليه السلام
رجوعه عما اشار به على الانصار فى تلقيح
النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور
التى ليست من هذا الباب كقوله والله لاحلف
على يمين فارى خيرا منها الا فعلت الذى حلفت
عليه وكقوله عن عيسى وقوله انكم تختصمون
الى حديث وقوله استوبا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما فى هذا من مشكل
فى هذا الباب والذى بعده انشاء الله مع اشباهها

وايضا فان

وايضا فان الكذب متى عرف من احد فى شئ
من الاخبار بخلاف ما هو على اى وجه كان
استريب بخبره وانهم فى حديثه ولم ينفع قوله
فى النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا
فان تعمد الكذب فى امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا
مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستشنع ويستبشع مما يحل بصاحبها
ونزرى بقايلها لا حقه بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل
يجرى على حكمها فى الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاداء
والتبيين وتصديق ما جاء به النبى ويجوز
من هذا قادح فى ذلك ومشكك فيه مناقض
للمعجزة فلنقطع عين اليقين بانه لا يجوز على
الانبياء خلف فى هذا القول فى وجه من الوجوه
لا بقصد ولا بغير قصد ولا بنسيان مع من
تسامح فى تجويز ذلك عليهم حال السهو مما
ليس طريقه البلاغ نعم ويانه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاستمرار فى امورهم

واحوال دنياهم لان ذلك كان يزرى
ويريب به وينفر القلوب عن تصديقهم
بعد وانظر احوال اهل العصر النبى صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرها من الاعم وسؤالهم
عن حاله فى صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على
عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه فى الباب
الثانى اول الكتاب ما يبين للمحة ما اشرنا
اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام
فى حديث السهو الذى حدثنا به الفقيه
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال ثنا القاضى
ابو الوليد بن سهل قال ثنا خاتم بن محمد ثنا
ابو عبد الله محمد بن الخارث ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله
ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابى
سفيان مولى ابن ابى احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك
لم يكن وفى رواية اخرى ما قصرت الصلوة
ولا نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى الكائنين
وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين

قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم
وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة
بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بتنه
التعسف والاعتساف وها انا اقول اما
على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس
طريقه من القول البلاغ وهو الذى
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو
والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه
فى مثل هذا عامد لصورة النسيان ليس وهو
صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة
ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه
فى الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول
كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبى صلى الله
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار
القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم يقع
فى ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم يطابقه
وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله لم انس راجع
الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت
عن العدد اى لم انسه فى نفس السلام وهذا محتمل

233

وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن
اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم
اللفظ خلاف مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو
قوله ما قصرت الصلاة ولا نسيت هذا ما ورد
فيه لو ثبتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ
على بعد بعضها وتعسف لو خرمنها قال القاضى
ابو الفضل رضى الله عنه والذى اقول وبظهر لى
انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس
انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه وانكره على غيره
بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت انه كذا
ولكنه نسى ولقوله فى بعض روايات الحديث الاخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت
الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شئ من ذلك
فقد نسى حتى سأل غيره فتحقق انه نسى واجرى
عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر
اى كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نسى ووجه اخر استنبطه من كلام بعض
المشايخ وذلك انه قال ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان ينسى ولو ينسى ولذلك نفى عن نفسه
النسيان قال لان النسيان غفلة واقع والسهو
انما هو شغل قال فكان النبى صلى الله عليه وسلم

ينسى فى صلوته ولو يغفل عنها وكان يشغله
عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغل دونها
لو غفلة فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن فى قوله
ما قصرت ولا نسيت خلف فى قولى وعندى
ان قوله ما قصرت ولا نسيت بمعنى الترك الذى
هو احد وجهى النسيان اراد والله اعلم انى لم اسلم
من ركعتين تاركا لهما الصلاة ولكنى نسيت
ولم يكن ذلك من تلقاء نفسى والدليل على ذلك
قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح انى لا انسى
او انسى لسن وامثاله كما ان ابراهيم عليه السلام
المذكوره فى الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصه
فى القرآن منها اثنتان قوله انى سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختى
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة فى باب
المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب واما قوله
انى سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اى
ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه
عن الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل سقيم بما قدر
على من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق

234

وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد
بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون
بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة
حجته عليهم في حال سقم ومرض حال بهم انه لم يشك
هو ولو ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والقمر والشمس ما نصبه الله وقد قدمنا
بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الى به فانه
علق خبره بشرط نطقه كانه قال وان كان
ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اني
فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الله
وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا في الباطن لان هذه
الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلافا باطنها
اشفق ابراهيم عليه السلام بمواخذته بها واما
الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول

انما هو

انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه
حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن
موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لانه يقول نجهز والغزوة كذا او وجهنا
الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول
ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس
اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد
العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبدنا بمجمع
البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه
ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض
طرق الصحيحة عن ابن عباس وهل تعلم احدا اعلم منك
فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق
ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر
فمحتمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به دون اخباره
في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا
لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم يقتضيه
وضايف النبوة من علوم التوحيد وامور
الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر
اعلم منه بامور اخر مما لم يعلمه احدا الا بإعلام الله
من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما
فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم

على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه
فيما قاله العلماء اليه كما قالت الملائكة لا علم
الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا ولكن
والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله
في تزكية نفسه وعلو درجته من امته
فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعالي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء
فغيرهم بعيد درجة سبيلها وذرك نيلها الا
من عصمة الله فالتحفظ منها اولى لنفيسة
وليقتدي به ولهذا قال عليه السلام تحفظا
من مثل هذا انما قد اعلم به انه سيد ولد آدم
ولا فخر هذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة
الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون
الولي اعلم من النبي وانما الانبياء فيتفاضلون
في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري
فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف
لانه ما علمنا كان في زمن موسى نبي غيره الا يوشع
هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك
شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا

معينة ثم يجنح الى اثبات نبوة خضر ولهذا
قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر
فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه
من موسى وقال آخرا انما الجئ موسى الى الخضر
للتأديب لا للتعليم **فصل واما ما يتعلق**
بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذي
وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارف
المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند
الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو
مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحق وذلك لخلاف انهم معصومون
من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان
كل ذلك يقتضي النقيصة منه المنزه مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور القائلين بانهم
معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون
باختيارهم وكسبهم الاحسن الجائز فانه قال
لا طاقة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء

236

والمحدثين والمتكلمين سنورد بعد هذا
ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم ياب
في الشرع قاطع باحد الوجهين ذهبت طائفة
اخرى من المحققين ومن الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر
قالوا لو اختلف الناس في الصغائر وتعينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما
سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه
ومخالفة الباري في اي امر كان يوجب كونه
كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن
ان يقال ومعاصي الله صغيرة الا على معنى
انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم
مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا
يخبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو
قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية
وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ويجب
على القولين ان يختلف انهم معصومون عن
تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر
ولو في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروءة واوجبت الوزراء والخساسة وهذا
ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل

هذا

هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل تلحق بهذا ما كان من قبل المباح
فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن
اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى
عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد
استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر
بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير
التزام قربة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج
عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول ابن القصار
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن شريح والاصطخري وابن خيران من الشافعية
واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما
من امور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال
فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز
مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعلة معصية

237

لو سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الوصولين ويزيد هذا حجة
بان يقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا
عليه السلام مجموعون انه صلى الله عليه وسلم
لو يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا
فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه
منه في نفسه وعلى هذا المأخذ يجب عصمتهم
من موافقة المكروه كما قبل واذا لحظ او ندب
على الاقتداء بفعله نبا في الزجر والنهي عن فعل
المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا
الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله
فقد نبذ واخواتهم حين نبذ خاتمة وخلعوا
نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤيته ابن عمر اباه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
احتج غير واحد منهم في غير شيء مما ابه العبادة
او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا ورد خبرها
اني قتل وانا صائم قالت عايشة محتجة كنت
افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما شا

وانى

وانى لاخشاكم الله واعلمكم بحدوده والآ
وهذا اعظم من ان يحيط عليها لكنها يعلم
من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتدائهم
بها ولو جوز واعليه المخالفة في شيء منها
لما استوهذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما انكر عليه السلام على اولئك قوله واعتذاره
بما ذكراه واما المباحات فجايز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وابا حهم
كابدان غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار
المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله والدار
الاخرة لا يأخذون من المباحات الا القدر
مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم
وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة
عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة
وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب
الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع

فان المعاصي والنواهي انما تكون مع تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام
قبل ان يوحى اليه هل كان متبعاً لشرع من قبله
ام لا فقال جماعة لم يكن متبعاً لشئ وهذا قول
الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة
ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها
وذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة
القاضي ابو بكر بن الطيب الى ان طريق السمع وحجته
انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهتم امره واولى ما اهتبل به
من سيرته ولتحزبه اهل تلك الشريعة واحتجوا به
عليه ولم يؤثر شئ من ذلك جملة وذهبت طائفة
الى امتناع ذلك عقلاً قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعاً من عرف تابعاً ونبوا هذا على التخيير
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واسناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقال فرقة
اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشئ وذلك اذ لم يجل الوجهين منها العقل
ولا ستبان عندها في احدهما طريق النقل وهو
مذهب ابو المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملاً بشرع من كان قبله ثم اختلفوا اهل هذين

ذلك

ذلك الشرع اما لا فوقف بعضهم على تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وضمم اختلفت
هذه المعينة في من كان يتبع فقيل لنوح وقيل
ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب وهذه المسئلة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب
المعينين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء
فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي
دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا
ايضاً للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفاً والاخرين في قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحاً فمحمل هذه الاية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث ولم
شريعة نخصه كيوسف بن يعقوب على قول
من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى
جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن
الجمع بينها فدل ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا
او يخالفون بينهم اتما من منع الاتباع عقلاً فظاهر

اصله فى كل رسول بالوحى اليه وامّا من حال
الى النقل فان ما يتصوّر له وتقرّر اتبعه
ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله فيلزمه بمساق حجته
فى كل شئ فصل هذا حكم ما تكون المخالفة
فيه من الافعال وهو ما يسمّى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون
بغير قصد وتعمّد كالسهو والنسيان فى الوظائف
الشرعيّة ممّا تقرّر الشرع بعدم تعلق الخطاب
وترك المواخذة عليه فاحوال الانبياء
فى ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية
لهم مع انهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه
البلوغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامّة بالفعل واخذهم بايتاء عدد فيه
وما هو خارج عن هذا ممّا يختصّ بنفسه الاعلام
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو فى القول
وهذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك فى حق النبى عليه السلام وعصمته من جوازه
عليه قصداً او سهواً فكذلك قالوا الافعال
وهذا الباب لا يجوز طرق المخالفة فيها لا عمداً
ولا سهواً لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء
وطرق هذه العوارض عليها يوجب التشكيك
وتسبيب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو

بتوجيهات

بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا
مال الاستاذ ابو اسحق وذهبا اكثر الفقهاء
والمتكلمين الى ان المخالفة فى الافعال البليغة
والاحكام الشرعيّة سهواً وعن غير قصد
منه جائز عليه كما تقرّر من احاديث السهو
فى الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البليغة
لقيام المعجزة على الصدق فى القول ومخالفة
ذلك تناقضها وامّا السهو فى الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح فى النبوّة بل غلبة
الفعل وغفلوات القلب من سمات البشر كما قال
عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكّرونى ونعم بل حالة النسيان والسهو هنا فى حقه
عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام انى لا انسى وانسى لاسنّ
بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسنّ وهذه
الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة
بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن
فانّ القائلين بجواز ذلك يشترطون ان لا يقرّ
لا تقرّ على السهو والغلط بل ينبّهون عليه
ويعرّفون حكمه بالعود على قول بعضهم وهو
الصحيح وقيل انقراضهم على قول الاخرين واما
ما ليس طريقه البلوغ وبيان الاحكام
من افعاله عليه السلام وما يختصّ به من امور دنيه

واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه الاكثر
من طبقات علماء الامة على جواز السهو
والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك مما كلفه من مقاسات الخلق
وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الادمان
بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا ما
يحط من رتبته وينافض معجزته وذهبت طائفة
الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة
المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا
ان شاء الله **فصل في الكلام على الاحاديث**
المذكورة فيها السهو منه عليه السلام
قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه
عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واجملناه
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا
واجرينا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه
الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث
الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة
ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في

من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام
الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث
مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه
وحكمة الله فيه لسن به انا البلوغ بالفعل
احلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه
انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به بقول او بنا
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان
والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير قادح
للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وكذا انه كنت اسقطهن ويروى
انسيهن وقال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن
قيل هذا اللفظ من الراوي وقد روي اني لانسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى ابن دينار
انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او يتسنى
الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالوه
ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او
انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه
ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث

الى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو
فى الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة
وافة والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عنها
والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو فى الصلوة
شاغلا به لا غفلة عنها واحتج بقوله فى الرواية
الاخرى انى لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا
كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه مناقض
المقاصد لا يحلى منه بطايل لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا فى حال ولا حجة لهم فى قولهم انه امر يتعمد
صورة النسيان ليسن لقوله انى لا انسى وانسى
لاسن وقد اثبت احدا لوصفين ونفى منافاة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما
تنسون وقد مال الى هذا عظم من المحققين من المتاخرين
وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم
ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين فى قوله
انى لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفى حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفى لفظه وكراهته كقوله بئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسى لا لنفى
الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه
ولكن شغل بها عنها وبنسى بعضها بعضها كما ترك
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذى

ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشا وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلوة فى الخوف اذا لم يمكن من ادائها الى وقت امن
وهو مذهب الشافعيين والصحيح الحكم صلوة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول فى نومه
عن الصلوة يوم الوادى وقد قال ان عينى تنامان
ولا ينام قلبى فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها
ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
فى غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر
من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله
عليه السلام فى الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقوله بلى فيه ما القيت على يومنا مثلها قط ولكن
مثل هذا انما يكون منه لو يريده الله من اثبات
حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال فى الحديث
الاخر ولو شاء الله لا يقظنا ولكن اراد ان تكون
لمن بعدكم انى ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روى انه كان ينام حتى ينفخ وهو
يسمع غطيطه ثم يصلى ولا يتوضاء وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه
مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوء مجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او الحدث
آخر فكيف وفى آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت
غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا

242

وقيل لو نام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي لو نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام
ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلو لا عادته من استغراق النوم
لما قال لبلال اكلاه لنا الصبح في الجواب انه كان
من شانه عليه السلام التغليس بالصبح وقراءة
اول الفجر لا يصبح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر
يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا براعاته وله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاة
فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول
نسيت وقد قال عليه السلام اني لانسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال لقد ذكرني كذا وكذا
آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض
في هذا الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية
كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القرآن اعني ان الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليحكم ما شاء
ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قلبه تركها
صلى ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله
عليه وسلم على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لو كان العبد فاعله
واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الاية
جائز عليه بعد بلوغ ما امر ببلوغه وتوصيله

الى عباده

الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه
الا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه
منه قبل البلوغ ما لو يغير نظما ولو يخالط حكما
مما لو يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه له بحفظ الله كتابه وتكفيله ببلوغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبياء

من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك
من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى
تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت احتمالات في مقتضاه
وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح
وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك
قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

243

وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص
من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه
فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما اتاهما الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقوله عن يونس سبحانك انى كنت من الظالمين
وما ذكره من قصته وقصة داود وقوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وانا
الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص
من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبى
صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم اغفر لى
ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت ونحوه
من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء فى الموقف
ذنوبهم فى حديث الشفاعة وقوله انه ليغان
على قلبى فاستغفر الله وفى حديث ابى هريرة انى
لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين
مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لى وترحمنى
الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبنى فى الذين
ظلموا انهم مغرقون وقال تعالى عن ابراهيم والذى

اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقوله عز
عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان
الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا
قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان
قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك
من ذنب وما لم يقع اعلمه الله تعالى انه مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك
بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته
عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتاويل حكاه الطبرى واختاره القشيرى وقيل
ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه الترمذى والسلمى عن ابن عطاء ومثله
والذى قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى
صلى الله عليه وسلم هاهنا مخاطبة لامته وقيل
ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم سر بذلك فانزل
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الاية وبمآل المؤمنين فى الاية الاخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
هاهنا بمعنى من الغيوب واما قوله ووضعنا عنك

وزرك الذى انقض ظهرك وقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى
قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لو ثقلت ظهره حتى معنا
السمرقندى وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من
اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى
وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكى
وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيرى وقيل
معناه حفظنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى انقض اى كاد ينقصه فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبى
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته
وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت
عليه واشفق منها اويكون الوضع عصمة الله له
وكفاية له من ذنوب لو كانت لو نقضت ظهره ويكون
من ثقل الرسالة اوما ثقل عليه وشغل قلبه من
امور الجاهلية واعلوم الله تعالى له بحفظ ما
استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم فلم يتقدم للنبى صلى الله عليه
وسلم فيه من الله نهى فيعد معصية ولو عده الله
تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم سيئة
واغلطوا من ذهب الى ذلك قال النقطويه وقد حاشاه

الله من ذلك بل كان مخيرا فاذن قالوا وقد
كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحى فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه
من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه
فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر لك كما قال
النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك
ومحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو
الوغر ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى
عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودى
روى انها تكرمة له قال مكى هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندى ان معناها
عافاك الله واما قوله فى اسارى بدر ما كان لنبى
ان يكون له اسرى الآية فليس منه الزام ذنب
للنبى صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خصه
فضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان
هذا لنبى غيرك كما قال عليه السلام احلت لى
الغنائم ولم تحل لاحد قبلى فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب
من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبى عليه السلام ولا عليه اصحابه بل قد روى

245

عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم
عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الاية هذه فقيل معناها لولا انه
سبق مني اني لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى
لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق لمسكم
الصغير لعوقبتم على الغنائم ويؤيد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب
من بعدكم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ
انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر فقال خيرا صحابك في الاسارى
ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان اوصلح عنه من الاثخان والقتل فعوقبوا
على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب

اختيار

اختيارهم كلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام
في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشاره الى هذا من تصويب
رأيه ورأى من اخذ بما اخذه في اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية
استوجبت عذابا ينجا منه عمر ومثله وعين
عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا محللة لهم فيما سبق وقال
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز
ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا جعل اليه الامر فيه وقد نزه
الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله
نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كنت له
من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا قال
في سرية عبد الله بن جحش الذي قتل فيها ابن الحضرمي
ما لكم بركيسان وصاحبه فما عنى الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل
على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى
كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر
وكثرة اسراها والله اعلم باظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم

لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى
كلامه واما قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى
فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله
ان ذلك المقتدى له من لو يتزكى وان الصواب
والاولى له كان ما لو كشف لك حال الرجلين لابقا
على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليهم اعلام بحال
الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى
الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله
ولا تقربا هذه الشجرة فكونا من الظالمين وقوله
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل
وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله
ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهده الله
اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك
الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس
انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل

لم يقصد

لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغتر
بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما
ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر
آدم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل انسي
ولم ينو المخالفة فلذلك لم نجد له عزما اى قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عندا كله سكران وهذا فيه
ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر
فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان
ملتبسا عليه غالطا اذا الاتفاق على خروج الناسي
والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن
فورك وغيره انه يمكن ذلك قبل النبوة ودليل قوله
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة
التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه
عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله
تعالى وعصى ادم ربه فغوى وقال فتاب عليه
وقال في حديث الشفاعة وبذكر ذنبه وانه
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فنسبا في الجواب عنه

وعن اشباهه مجملا واخر الفصل ان شاء الله واما
قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا
وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه انما تولى الله
عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لو القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن
حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكن
وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول
مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه
عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذوا قال
الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم
الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول
آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كان السبب
في وضعها غير الموضع الذي انزلا فيه واخرجهما منه
وانزلهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون
عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقلة بعض

المفسرين

المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك
ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه
قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب
وقوله فيه اواب فمعناه فتناه اي اختبرناه
واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى
قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على
ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلينها
فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه
ان يستشهد وحكى الترقندي ان ذنبه الذي
استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
يقول خصمه والى نعجاته اضيف في الاخبار الى
داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما
من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود
واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم
وقيل الخصمين الذين اختصما اليه رجلان
في نعاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف
واخوته فليس على يوسف منها تعقب وامر اخوته
فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر
الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء
قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا

اصفار الوسنان ولهذا لم يميز ابو يوسف بين
اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسل معنا اخانا نرتع
ونلعب وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم
واما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان
برهان ربه ففي طريق كثير من الفقهاء والمحدثين
ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة
فلم يعملها كتبت له حسنة فلو معصية فهمّ اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما
ما لم توطن عليه النفس من هموها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله
هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية
انما ابرئها من هذا الهم ويكون ذلك منه على
طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس
لما زكي قبل ويرى فكيف وقد حكى ابو حاتم عن
ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام قد تقدم
وتأخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان
ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت
الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي الاية قيل في ربي الله تعالى وقيل الملك

وقيل

وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها
عما امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم
بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى بناه الله فالقى عليه هيبة النبوة
فتشغل هيبته كل من راءه عن حسنه واما خبر
موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى
على انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة
موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لو معصية وفي ذلك وقوله هذا من عمل
الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن
جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريد للقتل
وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهي مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاء بعد ابتلاء وقيل في هذه القصة وما جرى له
مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت والتيم وغير
ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله
ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنا الاختبار
واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع

فى اختبار ادنى المحاسن وكذلك ما روى
فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى
عليه السلام بالتعدى وفعل ما لا يجب له اذ هو
ظاهر الامرين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع
عن نفسه من اتاه لا نلوفها وقد تصور له فى صورة
آدمى ولو يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت قد قصده
عن نفسه موافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله لها فلما
جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله استسلم و
للمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
اسدها عندى وهو تاويل شيخنا الامام ابى
عبد الله المازرى وقد تاوله قديما ابن عائشة
وعيره على صكه ولطمه بالحجة وفق حجته وهو
كلام مستعمل وهذا الباب فى اللغة معروف
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير
من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتلينا
وابتلاؤه ما حكى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد فى سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل
منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فقال النبى
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال

ان شاء الله

ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب
المعانى والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه
حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته وقيل بل انما
القى على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه انه احب بقلبه ان يكون
الحق لاخيه على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من
خرافاتهم على ما فعله من تشبه الشيطان به
وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته بالجور فى حكمه
لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم
الانبياء من مثله وان سئل لم يقل سليمان فى
القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها
ما روى فى الحديث الصحيح انه نسى ان يقولها وذلك
لينفذ مراد الله تعالى والثانى انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى
لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة
ولكن مقصده فى ذلك على ذكره المفسرون ان لا
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذى سلبه
اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل
اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها
كما اختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه

250

وقيل ليكون ذلك دليلاً وحجة على نبوته كالذي
الحديد لأبيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص
محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه
السلام فظاهره العذر وانه احد فيها بالتأويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك وظلب
مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك
لانه شك في وعد الله فبين له انه ليس من اهله الذي
وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد
اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق
هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له
في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش
لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا
لو يقتضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله
واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي
عنه وما روى في الصحيح من ان نبياً وخصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك
نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث
ان هذا النبي انما معصية بل فعل ما راه مصلحة
وصواباً بقتل من يوذي جنسه ويمنع المنفعة
بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلاً
تحت شجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة
تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحي اليه ما يوجب

عليه

عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته
هو في خاصته فكان انتقاماً لنفسه وقطع مضرة
يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل
هذا امراً نهى عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحي الله
اليه بذلك ولو بالتوبة والاستغفار منه
والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا لم يذنب او كاد الا يحيى ابن زكريا
كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم
من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن
سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم
صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل
المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح
من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر الا من شيء فاعلم وفقنا الله واياك
ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمرتبة
بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم

وانهم في نضر فهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها
ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا
من المواخذة بها وانوها على وجه التاويل والسهو
ويريد من امور الدنيا المباحة خابقون وجلود
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصٍ
بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني
الرذل ومنه ذنب كل شيء اخره واذناب الناس
رذالهم فكان من هذا ادنى افعالهم واسوء ما
من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم
وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
والخوف والخشية لله واعظامه في السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكبايير والقبايح والفواحش
ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه
كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين
اي يرونها بالاضافة الى علي حالهم كالسيات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظة كيف ماكانت من سهو او تاويل فهي مخالفة
وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي
نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود
اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن

بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل
انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو لا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له
اتخذت من دوني وكيلا لو طال حبسك فقال
يا رب انسي قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ
الانبياء بمثقال الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز
عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحققون للعرفة
الاولى على سياق ما قلناه اذ كان لا يتيسر ان يواخذ
بهذا مما يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا
اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لو بينا
لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم
بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون
ذلك زيادة في درجاتهم ويتلون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لمناجاة ربهم كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود ففغرنا له
ذلك الزلة وقال تعالى بعد قول موسى تبت
اليك اني اصطفيتك على الناس وقال
تعالى بعد ذكر فتنة سليمان وانابة فغفرنا له
الرجع الى وحسن مآب قال بعض المتكلمين
وزلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة

252

كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضاً
فليتنبه غيرهم من البشر منهم ومن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا المنصب
الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح
المري ذكر داود بسطة للتوابين وقال ابن عطا
لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصاً له
ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضاً فيقال
لهم فانكم ومن وافقتم يقولون بغفران الصغاير
باجتناب الكباير والاخلال بعصمة الانبياء من الكباير
فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة
عنهذا فما معنا المواخذة بها اذ عندكم وخوف الانبياء
وتوبتهم وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به هو
جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه
وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة
الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله
على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المواخذة
بما تقدم وتاخر فاوا كون عبداً شكوراً وقال
اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث
بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام
وتعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك

ليقتدي بهم ويستن بهم امتهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وايضاً
فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً
اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة
والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى
لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من ذنبه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية
وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم
بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا
وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور
الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا
وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول
مذ نبأه الله وارسله الله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه
عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن
استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط

253

والنسيان عليه فيما شرعه للامة عصمته في كل
حالة من رضى وغضب وجد ومزح فيجب لك
ان تتلقاه باليمين وتشد عليه بالضنين وتقدر
هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظم فائدتها
وخطرها فان من يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه
لونا من ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه
ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز
عليه يحل بصاحبه دار البوار لهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين اللذين رآياه ليلا وهو
وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما
انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من
ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما
شيأ فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما
تكلمنا عليه وهذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
يجهله اذ سمع شيأ منها يرعاذ الكلام فيها جد من
فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك
انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية
يضطر اليها في اصول الفقه وتبنى عليه مسائل
لا تنعد من الفقه وتخلص بها من تشغيب مختلفي
الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلوغه
وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا ويجب اختلافهم في وقوع التفيا
وفي خلاف في امثال الفعل بسط بيانه وكتب
ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج
اليها الحاكم والمفتي فيما ضاف الى النبي صلى الله
عليه وسلم شيأ من هذه الامور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع
الاجماع فيه والخلاف فكيف يصح في الفتيا
في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص
او مدح فاما ان يجترى على سفك دم مسلم حرام
او يسقط حقا او يضيع حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم وبسبل هذا ما قد اختلف ارباب
الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملوكة

فصل في القول في عصمة الملوكة الجمع الملوك

ان الملوكة موتمنون فضلا واتفق ائمة
المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في
حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبيا مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهب طائفة الى
الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى

لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له
مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله كرام برره
ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها ان شاء الله
بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب
عصمة جميعهم وتنزيههم بنصابهم الرفيع عن جميع ما يحط
من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض
شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام
في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة
ها هنا فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس
في خبرهما وابتلوهما فاعلم اكرمك الله ان هذه
الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وانكروا ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره

وهذه

وهذه الاخبار منكب اليهود وافترائهم كما
نصه الله اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان
وتكفيرهم اياه وقد نطوت القصة شنيع عظيمة وها
نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات
ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت
هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين
او لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله
وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين على ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه امن فقال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر
وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تحتالوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا ففعل
الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهو لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن
ابي عمران ذكر عنده هاروت وماروت وانهما
يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما
فهذا خالد على جلالته وعلمه ينزههما عن تعليم السحر
الذي قد ذكر عنهما انهما ماذونان لهما في تعليمه بشرط
ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف
لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في ذلك

الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية
وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر
سليمان يريد بالتي اتى افتعلته عليه الشياطين
واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين وقال
مكي قبل هما جبريل وميكال بل ادعى اليهود عليهما انهما
كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت وقيل هما رجلان تعلماه وقال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة
عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان
هنا داود وسليمان وتكون ما نافيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حجارة
السهم فندى والقراءة بكسر اللام شاذة فتحمل الاية
على تقدير ابو محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الزجر عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم
مطهرون وكرام برررة ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه من قصة ابليس انه كان من الملائكة
ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه
وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن
وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان

من الجن

من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع
في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم
من علم الا اتباع الظن وما رووه في الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فرقوا وامروا
ان يسجدوا لادم فابوا فرقوا ثم اخرون كذلك حتى
سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها
ترد ها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها الباب
الثاني فيما يخصهم في امور الدنيوية وما طرا
عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه
عليه السلام وسائر الانبياء والرسل
من البشر وان جسمهم وظاهرهم خلق البشر يجوز
عليهم من الوفات والتغيرات والالام والاسقام
وتجري كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يتنقص فاقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون
وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادرك الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب
ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه
وشجه الكفار وكسروا باعيته وسقي السم

وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعود ثم قضى نحبه
فتوفى صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر
التى لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو
اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا فى النار واشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم نبينا صلى الله عليه
وسلم من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه بداية
فمنيه يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون وريش
عند حزوجه الى جبل ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابى جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه
من سحر ابن الاعصم فقد وقاه اعظم من سم اليهودية
وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافا وذلك من
تمام حكمته ليظهر شرفهم وهذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرفع الالتباس على اهل الضعف فيهم
لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى بن مريم وليكون فى محنهم تسلية
لامتهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذى
احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى
والتغييرات المذكورة انما تخص باجسامهم البشرية
المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بنى ادم

لمشاكلة

لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة عن ذلك
غالبا معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملايكة لو خذها عنهم وتلقيها الوحى منهم قال
وقد قال عليه السلام ان عينى تنامان ولا ينام
قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى
ويسقين وقال انسى وانسى ليسن فى فاجتهدوا
ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التى تحل ظاهره من ضعف وجوع
وسهر ونوم لا يحل منها شئ باطنه بخلاف غيره
من البشر فى حكم الباطن لو ذاذا نام استغرق
النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام قلبه
حاضر القلب كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض
الاثار انه كان محروسا من الحدث فى نومه ليكون
قلبه يقضان كما ذكرناه وكذلك عينه اذا جاع
ضعف لذلك جسمه وحارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه
لا يعتريه ذلك وانه بخلاف قوله لستكهيئتكم
انى ابيت يطعمنى ربى ويسقين وكذلك قوله
انه فى هذه الاحوال كلها من وصب ومرض
وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يحل به ولا فاض
منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى غيره
من البشر مما اخذ بعده فى بيانه فصل
فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة

انه سحر عليه السلام كما حدثنا الشيخ ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف حدثنا
البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل قال ثنا ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت سحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه
انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى انه
كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتهن
الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور
فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف جاز
عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة
وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها
الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع
والنبي عما يدخل في امره لبساً وانما السحر مرض من الامراض
وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وانما ما ورد انه كان
يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته
او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه من امر دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة
للوفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها

ما لا حقيقة

ما لا حقيقة له ثم يتجلى عنه كما كان وايضاً قد فسر
هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه
انه يأتي اهله ولا يأتهن وقد قال سفيان وهذا
اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل
عنه في ذلك قول يخالف ما كان لخبر انه فعله
ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل
ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله
وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت
عليه لو تمثنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما
اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بياناً من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث
تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستغني
من يقتنص الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال
فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتكر ببصره ثم دل له الله
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن
الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم
وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر قال
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة
سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه

وروى محمد بن سعيد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مخمس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملك وذكر القصة هذا المخرج من الامام مخطط من غير الرواية

والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون قوله يخيل اليه انه ياتي النساء ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا في منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعرض لعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه يرى شخصا من بعض زوجه وشاهد فعله من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا شيء طرا عليه في عينه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يحدث به الملحد المعترض نقصا

فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فخبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل

اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا شيء

على وجه

على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع

حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه ثنا سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاش قال ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأي فانما انا بشر وفي رواية انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطيء واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها الا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحاق انه عليه السلام

لما نزل باد فى مياه بدر قال له الحباب بن
المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه
ام هو الراى والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراى
والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض
حتى ناتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراى
وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم فى الامر
واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه
فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التى لا مدخل
لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تقليدها يجوز عليه
فيه ما ذكرنا اذ ليس فى هذا كله نقيصة ولا محيطة
وانما هى امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبى صلى الله عليه وسلم
مستحوذ القلب بمعرفة الربوبية ملازن الجوارح
بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون فى بعض
الامور ويجوز فى النادر وفيما سبيله التدقيق
فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى الكثير الموزن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة
ورقاهلها ما هو معجز فى البشر مما قدمنا عليه
فى باب معجزاته من هذا الباب فصل واما ما يعتقد

فى امور

فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر
وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته منه فمن قضيت له من حق اخيه بشئ فلا ياخذ
منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ
ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا
محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه
عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث وفى رواية الزهرى
عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب
انه صادق فاقضى له وبجرى احكامه عليه
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ورعاية الدشيه وموزن الاقارير
والوكلاء مع مقتضى حكم الله تعالى وذلك فانه
تعالى لو شاء لاطلعه على سرايرعباده ومخبات
ضمايرامته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه
دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شهادة
ولكنه امر الله امته باتباعه والاقتداء به
فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن
للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ من ذلك

ولا قامت حجته بقضية من قضاياه لأحد
في شريعته لأنا لا نعلم ما اطلع عليه هو في ذلك
القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكتوم من اعلم
الله له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا ما
لا نعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على
ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في يقين قضاياه وتنزيل
احكامه وبانون ما انوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذا البيان بالفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتأول فكان
حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه
الاحكام واكثر فائدة لموجبات المتاجر والخصام
وليقتدي بذلك كل حكام امته ويستوفي
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وخرج بذلك
عنه من علم الغيب الذي استأثر به علام الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء، ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل**
واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله
واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه
من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب
وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما

طريقه الخبر المحض فما يدخله الصدق والكذب
فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها
فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لاسيما
لقصد المصلحة كتوريته عن وجه معاذيه لئلا
ياخذا العدو حذره وكما روى من مازحته و
دعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين
من صحابته وتاكيدا في تخيبهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي
سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا
كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه
بياض وقد قال عليه السلام انا لا امزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما يأتيه الخبر فاما ما يأتيه غير
الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور
الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر
احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه
وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان يكون له
خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت
فما معنى اذ قوله تعالى له في قصة زيد واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان امر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه منها اياها كما ذكر
عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا الباب

261

ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله
تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه
فلما شكاها اليه زيد قاله امسك عليك
زوجك واتق الله واخفا منه في نفسه ما اعلمه
الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره
بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو
بن قائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم بعلمه ان الله يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح
هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله
مفعولا اي لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا
ان الله لم يبد من امره ومعها غير زواجه لها فدل
انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به
تعالى وقوله في القصة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن
عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه فيما اجل مثال فعله لمن قبله من الرسل
قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين
فيما اجل لهم ولو كان على ما روى في حديث قتادة
من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان
فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مدة عينيه
لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا

نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال
القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وفضله
فكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل
يراها منذ ولدت ولو كان الشأ يحجبن منه عليه
السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله
طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه
وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سببه
كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه
وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها
زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ لم تكن بينهما
الفة واخفا في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها
زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
وقد قيل كان امر زيد بامساكها فحا للتهوم
وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه
انه راها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا ينكره فيه
لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة

الفجاءة معفوعنها ثم قمع نفسه عنها واوزيداً
باسماكها وانما تركر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والاولى ماذكرناه عن علي بن حسين
وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه
واستحسنه القاضي القشيري وعليه عوّل
ابوبكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين
من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم
منزّه عن استعمال النفاق وذلك واظهار
خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله
تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قال ومن ظن ذلك بالنبي فقد اخطأ قال وليس
معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء
اي يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوج ابنه وان خشيته
عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة
ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان
فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله لهم كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرّم ما احل الله لك
الاية كذلك قوله ها هنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعايشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لكتم هذه
الاية لما فيه من عتبه وبداء ما اخفاه **فصل**

فان قلت

فان قلت قد تقرر عصمته عليه السلام
في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه
فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا هزل ولا رضى ولا غضب
ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي
حدثناه القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال
ثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد
وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق
اثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن
ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية اينوفت
اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابداً فتنازعوا
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان
الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر
ويروى اهجر وفيه قال عمر ان النبي قد اشتد به الوجع
وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال
قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله

263

صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال
عمر قال ائتنا فهذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه
معصوم ان يكون منه في القول اثناء ذلك ما يطعن
في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان
او اختلال في كلام هذا لو يصح ظاهر رواية
من روى في الحديث هجر ان معناه هذى يقال
هجر يهجر اذا هذى وابهجر هجرا اذا افحش وابهجر بعدية
هجر وانما الصحيح والاولى ان هجر على طريق الانكار
على من قال لا يكتب وهكذا رواينا فيه في صحيح
البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري
المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة
وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه
الطرق وهكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان
وغير غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على
حذف الف الاستفهام والتقدير ابهجر او ان تحمل
قول القائل هجر او هجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه
عليه والوالذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط
هذا القائل لفظه واجرى النبي مجرى شدة الوجع
لانه اعتقد انه يجوز عليه النبي كما حملهم اشفاق

على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحوها
واما على رواية هجر وهي رواية ابي اسحق المسملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده
صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش
في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه
بالكتاب فقال بعضهم انما امر النبي صلى الله عليه
وسلم بعضهم ايجابها من ندبها من باحتها بقرائن فعلم
قد ظهر من قرائنه قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم تكن منه عزيمة بل امر ندبة الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقالوا استفهموه فلما
اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزيمة ولما راوه
من صواب رأي عمر ثم هولاء قالوا ويكون امتناع
عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من
تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل
عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي قد اشتد
به الوجع وقد خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق
بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر
وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا

وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله
قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم
بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد
على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد علم
ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض ليكتبن
في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا فوذلك الوقار
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة
اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لانه ابتداء
بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجابه عنهم
وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس انطلق بنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكرهه
على هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله
دعوني فان الذي انا فيه خير مما تدعوني اليه وقوله
من ارسال الامر وتركهم وكتاب الله وان تدعوه مما طلبتم
وذكر ان الذي طلب كتابه ام الخلوف بعده وتعين ذلك

المشهورة
وقيل كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق
الاولى هل يتفقون على ذلك ام يختلفون
فلما اختلفوا تركه
وليس من الرواية

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي
حدثناه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الحلوي قال
ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة
ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النضريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فاي
مامون من ذيته او سببته او جلدته فاجعلها له
كفارة وقربة وتقربه بها اليك يوم القيمة وفي
رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية
ليس لها باهله وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة و
صلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه
وسلم من لا يستحق اللعن ويبت من لا يستحق السب
ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك
ان قوله عليه السلام او لا ليس لها باهل اي عندك
يا رب في باطن الامر فان حكمه عليه السلام
على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم
عليه السلام بجلده او اديه بسبه او لعنه بما اقتضاه
عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته
على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله
بها وحذره ان تقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل
دعاءه وفعله له رحمة وهو معنى قوله ليس لها
باهل لانه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه
الضجر لئن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح وتأويل من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب يحمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد

بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته
او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه
او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه
وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته
الخوف والحذر من بعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد
من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن
على غير الحقد والغضب بل بما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الاجابة كقوله ترب يمينك ولا
اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته
وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام
لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا ولا فحاشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له
ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى من
اشفق
عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك له مقربة له
زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على
المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وثقل
دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك
سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وعقبة لما اخذ
وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران
كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا

فعوقب فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصما
مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ
الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر
الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه وفي هذه القصة
امر غريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
اولا الى الاقتصار الى بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الخروج وقال اما ان كان
استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اشارة
الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر
الحديث فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ حقه الزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه
وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه
في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان
لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح لم يكن ليتعد
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان غضبه

266

قاله وضربتني بالقضيب فلو ادري عمدا ام
اردت ضربي الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى
عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال
الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة
بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول
له ندرك حاجتك وهو ياتي يضربه بعد ثلوث
مرات وهذا منه عليه السلام لو لم يقف عند
نهيه صواب وهو موضع ادب لكنه عليه السلام
اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن غزية انبي النبي صلى الله عليه
وسلم وانا مستلق فقال ودس ودس خط خط
وغمزني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت
القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما
ضربه عليه السلام لينكر ذاه به ولعله لم يرد ضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصد
طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل واما**
افعاله عليه السلام الدنيوية فخلقه فيها
من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الند

وراذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ
منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه
وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه
او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد
او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاجر
بصالح اعماله منتظم في زاكي وظايف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف
الاحوال وبعد الامور اشباهها فيترك في تصرفه
لما ترتب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة
في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل
ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا
مساعدة لامته وسياسة وكراهية خلاف فيها وان كان
قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى
فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية
مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة
لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من امورهم موالفة لغيرهم وعلما للمؤلفين

من قرابتهم وكراهة ان يقول الناس ان محمدا
يقتل اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغيير
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت البيت على قواعد
ابراهيم ويفعل العقل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من اذنا مياه بدرا الى قربها للعدو من
قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سعت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليجيب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله
ما يتولاه الخادم من مهنته ويتمتع في مدونته
حتى يبدو منه شئ من اطرافه وحتى كان على رؤس
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه هذا وسع
الناس ببشره وعدله لو يستفزه الغضب ولو يقصر
عن الحق ولو يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي
ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله
لعايشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
الان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك
فقال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز

ان يظهر له

ان يظهر له خلوف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال
فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا والمثل
وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه
اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
الى السياسة الدينية وقد كان يسعها لفهم اموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني
حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة
هو غير غيبة بل هو تعريف ما عليه منه لمن لم يعلم
ليحذر حاله ويجتنبه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان فيه
دفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جائزا بل كان واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة
والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى اوصل المعضل
الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة
وقد اخبرته ان مولى بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم
الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس
في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولوده والله
اعلم لما باعوها من عايشة كالم يبيعوها قبل حتى يشرطوا

268

ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا وليته
النبي عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء انما ليت في اكثر طرق الحديث وصح
ثباتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع لهم بمعنى عليهم قال
الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون
قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما لم يفهم
من شرط الولاء لنفسهم قبل ذلك ووجه ثان
ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس
على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان
شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط
غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وترجيح
النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى
قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني
عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا
قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا لذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى
فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحل اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته

في ذلك ولقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان
عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية
فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه
وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه بانه انا اخوك
فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازواجه
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير
انكم لسارقون فليس من قوله يوسف فيلزم عليه
جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن الظن
كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل
قال ذلك لفتيانه فقيل ليوسف وبيعهم له وقيل
غير هذا ولا يلزم ان لا تقول الانبياء ما لم يأت
انهم قالوه حتى يطلب الخلاص ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل فان قيل فما الحكمة في ابتلاء**
الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء
عليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله
من البلاء وامتحانهم بما امتحن به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكرياء وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه
واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك
ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلما تجيء حتم

269

وصدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم
لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم
الذين امنوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في
مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصايرهم في رحمته
للممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم و
موعظة لسواهم ليتأسوا في البلوى بهم ويتسلوا
في المحن بما جرى عليهم وتقتدوا بهم في الصبر ومحو
للهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم
اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا
ابو الحسين النصيري في وابو الفضل بن خيرون
قالوا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة
ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب
بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى
يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال
تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الويات

البلوى وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن
في نفسه وولده وماله حتى يلقاه الله وما عليه
خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله
بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة
وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكي السمرقندي ان كل من كان اكرم
على الله تعالى كان بلواه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب وكما روي عن لقمان انه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن
يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محجة
وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل
جمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه
وبينهما جدار ولو علم عند يعقوب وابنه فغوقب
يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت
حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بقية حياته يأمر منادياً ينادي على سطح
الدمن كان منفطراً فليتعد عند آل يعقوب وعوقب
بالمحنة التي نفض عليها وروي عن الليث ان سبب
بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم
فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به

270

مخافة على زرعه فعاجبه الله ببلائه ومحنة
سليمان لما ذكرناه من غيبته فى كون الحق فى جنبة
اصحابه او للعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده
وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبى صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة ما رأيت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبد الله رأيت النبى صلى الله عليه وسلم
فى مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك
وعكا شديدا قال اجل انى اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفى حديث ابى سعيد ان يزيد
وضع يده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله
ما اطيق ان اطبع يدى عليك من شدة حماك
فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبى ليبتلى بالقمل
حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان كان
ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن ابن
عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم
البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى
فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال
المفسرون فى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم
بمصائب الدنيا تكفر له كفارة وروى هذا
عن عايشة وابى ومجاهد وقال ابو هريرة

عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال فى رواية عايشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة تشاكها
وقال فى رواية ابى سعيد ما يصيب المؤمن
من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من
خطاياه وفى حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه
اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق
الشجر وحكمة اجرى اودعها الله فى الامراض
لاجسامهم وثقافيا لا وجاع عليها وشدتها
عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها
عند قبضهم وتخفف عليهم موته النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموتى فى الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع تقيها الريح هكذا
وهكذا وفى رواية ابى هريرة من حيث اتتها الريح
تكفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن
يكفاه البلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزاء
مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه
بين اقدار الله منطاع لذلك ليتن الجانب

يرضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع
وانقيادها للرياح وميلها لهبوبها وترجحها من
ما انتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلاء
فاء واعتدل صحيحاً كما اعتدلت خامة الزرع
عند سكون رياح الجور رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلوته منتظراً رحمته وثوابه عليه
فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت
ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته وترعه
لعادته بما تقدمه من الالوم ومعرفة ما له فيها
من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها
وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف
هذا معافا في غالب حاله ممتع في صحة جسمه
كالاوزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه
قصمه حينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذاباً
ولعذاب الاخرة اشد كما تجعافا الاوزة وكما قال
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك
عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته
الصيحة الاية فجاء جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصيحهم به على استعداد بغتة ولهذا
ما كره السلف موتا الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم

كانوا

كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي
الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الاوامر
تذير الممات ويقدر شدتها شدة الخوف من نزول
الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهد ها له
للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الاكدار
ويكون قلبه معلقاً بالمعاد فيفصل من كل ما يخشى
تاعنه من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق
الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية في من يخلفه
وامر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وطلب
التنصل وفرضه من كان له عليه مال او حق في بدنه
او قاد من نفسه وماله وامكن من الفصاص من
على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة
واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وغيره وبالابصار
عينيه ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته اما
في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم راى الاصلاح
عنه افضل وخيراً وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واوليائه المتقين وهذا كله بحرمة الكفار
لو ملاء الله لهم ليزدادوا اثماً ويستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون وكذلك قال عليه
في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب

المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة
للمؤمنين واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك
ان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان اورد عليه كيف ما جاء واقضى لراحته
من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح
ومستراح منه وتاتي الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا اهبة ولو مقدمات
منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه
وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى
هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب
لقاء الله احب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن
تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب
والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر ووقر
وتعظيم واكرام ويجب هذا حرم الله تعالى
اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا

رسول الله

رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك
واسمع منا ويقصدون بالكلمة يريدون الرعونة
فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق
الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت
وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار
بمعنى ارعنا رعاك فنهوا عن ذلك لما تضمنته
انهم لا يرعون الا برعايته لهم وهو عليه السلام
واجب الرعاية بكل حال وهذا وهو عليه السلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه
اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى
يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا
فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى
باجابة دعوته غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك
المنافقين والمستهزون ذريعة الى اذاه
والاستزراء به فاذا التفت قالوا انما اردنا

هذا المسواه تعنيتا له واستحفافا بحقه
على عادة المجان والمستهزئين بحمى عليه السلام
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا
على مدة حياته واجاروه بعد وفاته لارتفاع
وللناس فى هذا الحديث مذاهب ليس هذا
موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره
وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لان الله كان منع من ندائه
به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه
يا رسول الله ونبى الله وقد يدعونه بكنيته
ابا القاسم لبعضهم فى بعض الاحوال وقد روى
انه نهى عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمى
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى
اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبى صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبرى والصواب جواز هذا كله
بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على
ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابى القاسم
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن فى ذلك
لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وقد اخبر عليه السلام
ان ذلك اسم المهدى وكنيته وقد بسطت الكلام

وحكى محمد بن سعيد انه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يشتمه ويقول له فعل الله بك يا محمد
وضيع فقال عمر لابن لاخيه محمد بن زيد بن
الدارى محمدا عليه السلام يشتم ملك
والله لاوجعن محمدا ما وصلت يدى وسماه
عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد
باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغيرة
اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء
ثم امسك هذا الخبر فى من الوهم يخطط
وليس من الرواية

وقد سمى النبى عليه السلام محمد بن طلحة ومحمد بن
بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغيرهم
ما فيه احد كم ان يكون فى عقبه محمد ومحمد ان
من الاوهام يخطط وليس
من الرواية

وهذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول
فى بيان ما هو فى حقه عليه السلام سب
او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك
ان جميع من سب النبى صلى الله عليه وسلم او عابه
او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشئ على طريق
السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه
او الغض منه او العيب له فهو سابّ له والحكم فيه
حكم السابّ يقتل كما بيّنته ولا نستثنى فصلا
من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نميز
فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا
عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عيب فى جهته العزيزة
بنحو من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور
او غيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه
او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة و
المعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة
الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
الى هلم جرى قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام
اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم
يقتل ومن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد
واسحق وهو مذهب الشافعى قال القاضى ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابو بكر الصديق رضى الله عنه

ولا تقبل توبته عنه هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي
في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد
بن مسلم عن مالك وحكى مثله للطبري عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن تنقصه عليه السلام او برئ منه او كذبه
وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولا نعلم اختلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله
وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن
احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم
النبي صلى الله عليه وسلم المستقصي له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل
ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن
خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك
بن نويرة بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن
القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط و
العتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب
من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل

ولم يستتب

ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه
او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الائمة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام
مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي مصعب
وابن ابي اويس سمعنا ما لكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او عابه او تنقصه قتل مسلما
كان او كافرا ولم يستتب وفي كتاب محمد اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه
وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر
ذلك او اظهره ولم يستتب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله
عليه وسلم من مسلم او كافر قتل اولم يستتب وحكى
الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى
ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله
عليه وسلم ويروى رذا النبي ونحو اراد به عيبه
قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان
من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء
من المكروه انه يقتل بدا استتابة وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الخبال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد

274

بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله
عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم ترديدون تعرفون صفته هو في صفة المارق
ولحيته قال ولو تقبل توبته وذكر لعنه الله
انه وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد
ابو سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قال له
لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله
برسول الله كذا وكذا وذكر كلوما قبيحا فقيل له
ما تقول ياعدو الله فقال اشد من كلومه الاول
ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا اريد
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع
لو ان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل
امتهان وهو غير معزز لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى
ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان تاب
او جهلت فقد جهل وسأل النبي بقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن خاتم المتفقة الطليطلي
وصلبه بما شهد عليه به من استخفاف بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرة
باليتيم وحين حيدره وزعمه ان زهده لم يكن قصدا

ولو قدر على الطيبات لاكلها الى اشباه هذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم
الغزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم
وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب
للمناظرة ورفعت عليه امور منكرة من هذا الباب
في الاستهزاء بالله وانبيائه وكتبه عليه السلام
فاحضره القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر
بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم
انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفع
خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته
عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال
لو ولغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله
بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص لا يجوز
ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره
ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع الفرق
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام
ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي
صلى الله عليه وسلم بأذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب وهذا الباب كله مما عده

العلماء سبّا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدّمهم ولا متأخّرهم وان اختلفوا في حكم
قتله على ما اشرنا اليه وبيّنه بعد ان شاء الله تعالى
وكذلك اقول حكم من غمصه او عيّره برعاية الغنم
او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوّه او شدّة
من زمنه او بالميل الى بنسائه فحكم هذا كلّه لمن نقصه
نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
وبيان ما يدلّ عليه فصل في الحجّة في ايجاب قتل
من سبّه او عابه عليه السلام فمن القرآن
لعنة الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقوله
تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سبّ الله
وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر
القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله
الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنه
في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما
اخذوا وقتّلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر
عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخرّاصون قاتلهم الله
اني يؤفكون اي لعنهم الله ولانّه فرق بين اذاهما
واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل
من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ورسوله
اشدّ من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربّك

لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم الآية
فسلك اسم الايمان عمّن وجد في صدره حرجا من
قضائه ولم يسلّم له ومن تنقصه فقد نافى قضاءه
هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبيّ الى قوله ان تحبط اعمالكم
ولا يحبط العمل الّا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى
واذا جاؤك حيّوك بما لم يحيّك به الله ثم قال جهنم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبيّ ويقولون هو اذن ثم قال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
ولئن سألتهم ليقولنّ انما كنّا نخوض ونلعب الى قوله
قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الآثار فحدّثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابو ذر الهروي
اجازة قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن
حيّوية ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن
الحسين بن زيالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن
علي بن موسى عن ابيه عن جدّه عن محمد بن علي بن الحسين
عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سبّ نبيّا فاقتلوه ومن
سبّ اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح ان النبيّ
صلى الله عليه وسلم يقتل كعب بن الاشرف وقوله

276

من لكعب بن الاشرف فانه يوذى الله ورسوله
ووجه اليه من قتله غيلة ودون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه
لغير الاشراك بل للاوذى وكذلك قتل ابا رافع قال
البراء وكان يوذى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان
بسبه عليه السلام وفى حديث اخر ان رجلا
كان يسبه عليه السلام فقال من يكفينى عدوى
فقال خالد انا فبعثه النبى صلى الله عليه وسلم
فقتله وكذلك لم يقل جماعة ممن كان يوذيه ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط
وعبد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابى معيط نادى
يا معاشر قريش مالى اقتل من بينكم صبرا فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول
صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبى صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفينى عدوى
فقال الزبير انا فيا نذره الزبير فقتله وروى ايضا
ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفينى
عدوى فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى
ان رجلا وكز على النبى صلى الله عليه وسلم فبعث

علياً والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن ثابت ان
رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله سمعت ابى يقول فيك قولا قبيحا
فقتله فلم يشق ذلك على النبى صلى الله عليه
وسلم وبلغ المهاجر بن ابى امية امير اليمن ابا بكر
رضى الله عنه ان امراة هناك فى الردة غنت
بسب النبى صلى الله عليه وسلم فقطع يدها
ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس كسائر الحدود
وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبى صلى الله
عليه وسلم فقال من لى برجل من قومها انا يا رسول الله
فنهض فقتلها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال
لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له
ام ولد تسب النبى صلى الله عليه وسلم فينزجرها
فلم تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع فى النبى
صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفى حديث
ابى برزة الاسلمى كنت يوما جالسا عند ابى بكر الصديق
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضى اسمعيل
وغيره واحد من الائمة فى هذا الحديث انه سب
ابا بكر ورواه النساى انه سب ابا بكر وقد اغلظ
لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله
دعنى اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد

الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله
عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن
عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره
في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه
عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا
رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومولفي اخباره
وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه
او يميل به هواه او يكون ما قاله محمل على غير السب
فيكون الخلاف على هو سب او غير سب ويكون رجع
عن سبه فلم يقله مالك على اصله والاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة
النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام

فد ظهرت

قد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء
طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول
الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر
انه دليل على الكفر فيقتله حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله امارة صريحة كفره كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترف
بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو
كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى
في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا
ان كان مستدرا به ان حكمه حكم المرتد يقتل ولا يستتاب
قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه
فاضربوا عنقه ولان حكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة مزية على امته وسائر الحرمات من امته
بحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لعظيم قدره وشنوف منزلته على غيره

فصل فان قلت لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم

اليهودى الذى قاله السام عليكم وهذا دعاؤه
عليه ولو قتل الاخر الذى قاله ان هذه لقسمة
ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبى صلى الله عليه
وسلم من ذلك وقال قد اوذى موسى باكثر من هذا
فصبر ولو قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه فى
اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان
ويزينه فى قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انكم ستعثم
ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين ويحمل صحبتهم ويغضى
عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم مما لا يجوز لنا
اليوم الصبر عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان
وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا فاعف عنهم واصفح ان الله
يحب المحسنين وقال ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى
بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك لحاجته اليه
للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما
استفحل واظهر الله على الدين كله قتل من قدر
عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله
يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم

اوغلبة

اوغلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط
فى جملة مظهرى الايمان به ممن كان يؤذيه كابن
الاشرف وابى رافع وعقبة وكذلك ندر دم
جماعة سواهم كلعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهم ممن اذاه حتى اقوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها
اذا مست وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع فى
فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه
عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر
اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما قال ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وعون
وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا
اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقيل لعله لم يثبت عنده عليه السلام من احوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ونحوه لم يصل رتبة
الشهادة وفى هذا الباب من صبى وعبد وامرأة
والدماء لو تستباح الا بعدلين وعلى هذا
يحمل امر اليهود فى السام وانهم لو وايه السنتهم
ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة

ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا
نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على قلتهم
وقلة صدقهم في سلوهم وحياتهم في ذلك
لتابا لسنتهم وطعناً في الدين فقال ان اليهود
اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا
وعليكم وكذلك قال بعض اصحابنا من البغداديين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم
فلهذا تركهم وايضاً فان لو كان سراً وباطناً
وظاهرهم الوسلام والايمان وان كان من اهل
الذمة والعهد والجوار والناس وقت عهدهم
بالوسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع خبر المذكورين في العرب كون مزيتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وانصار الذين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم لنفاقهم وما يبدو امنهم وعلمه بما
اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولو تاب
الناد وارجعت المعاند وارتاع من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام
غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو والظالم
ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الثرة
وقد رايت معنى ما حررته منسوباً الى مالك
بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام

لا يتحدث

لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه وقال
اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا يجلو
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود
الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو ظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه
عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار
وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا
قليلاً ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلاً سنة الله الاية قال معناه اظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط
عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما كان
قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه فسمة
ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي
صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا
والاجتهاد في مصالح اهلها فلم يرد ذلك سبباً
وراءه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء

الا بما لا بد منه من الموت الذى لا بد من لحاقه
جميع البشر وقيل بل المراد تسمون دينكم والسام
والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخارى على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمى او غيره بسب النبى صلى الله
عليه وسلم ولم يصرح قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى فان القاضى
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب فى حقه
عليه السلام سواء وقال القاضى ابو محمد بن نصر
مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يرد
فى هذا الحديث هل كان هذا اليهودى من اهل العهد
والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر
المحتمل والاولى فى ذلك كله والاظهر من هذه
الوجوه مقصدا الاستيلوف والمداراة على الذين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخارى على حديث
القسمة والخوارج باب من ترك قتل الخوارج للتالف
وللا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره
وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له فى قتل من عينه منهم وانزل بهم من صياصيهم
وقذف فى قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وحرب بيوتهم بايديهم وايدى
المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة

والخنا

والخنازير وحكم فيهم بسبوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة
انه عليه السلام ما انتقم لنفسه من شئ يؤتى اليه
قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضى انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
فان هذه من حرمات الله التى انتقم منها وانما
يكون ما لا ينتقم منه له فيما تعلق بسوء ادب او مما
من القول والفعل فى النفس والمال مما لم يقصد
فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء
والجهل وجبل عليه البشر من الغفلة كجذب الاعرابى
ازاره حتى اثر فى عنقه وكرفع صوت الاخر عنده
وكجذا الاعرابى شراءه منه ونسبه التى شهد فيها
خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا
ان اذى النبى صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل
مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل
مباح ما يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره
واحتج بعموم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله
وبقوله عليه السلام انها بضعة منى يؤذينى
ما اذاها الا واقى لا احرم ما احل الله ولكن
لا يجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل

221

ابدا او يكون هذا مما اداه به كافر وجاء بعد ذلك
اسلامه كعفوه عن اليهود الذى سحره وعن الاعرابى
الذى اراد قتله وعن اليهودية التى سمته وقد قتل
قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب
والمنافقين فضيق عنهم رجاء استيلافهم غيرهم
كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام
فى قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه
باى وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين
لا اشكال فيه الوجه الثانى لا حق به فى البيان
والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال فى جهته
عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد
ولكنه تكلم فى جهته عليه السلام بكلمة الكفر
من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز
عليه او نفى ما يجب له مما هو فى حقه عليه السلام
نقيصة مثل ان ينسب اليه ابيات كبيرة او هفوة
فى تبليغ الرسالة او فى حكم بين الناس او نقص من
مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده
او يكون بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام
وتواتر الخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه
عن قصد لرد خبره او ياتى بسفه من القول او قبيح
من الكلام ونوع من اللعب فى جهته وان ظهر
بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه
انما بجهالة حملته على ما قاله او لفرط سكر

اضطره اليه

اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه
وعجرفة وبهور فى كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر
احد فى الكفر بالجهالة ولا يدعوى زلل اللسان
ولا بشئ مما ذكرناه اذا كان عقله فى فطرته سليما
لا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى
الاندلسيون على بن حاتم فى نفيه الزهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذى قدمناه وقال محمد بن
سحنون فى المانوريب النبى صلى الله عليه وسلم
فى ابدى العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه
وعن ابى محمد بن ابى زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان
فى مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسى فيمن شتم النبى
صلى الله عليه وسلم فى سكره يقتل لانه يظن به
انه يعتقد هذا او يفعله فى صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود
لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من
زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق
والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة
وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد
لابى قال فعرف النبى صلى الله عليه وسلم انه ثمل
فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن
فى خباياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا

282

عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمور

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وفي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من يرى من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس نبيا ولم يرسل ولم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يقوله بعقله قتل ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من لعن بتكذيبه فهو كالمرتد ويستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقال سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس وقال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك

لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عندا لامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحى او انه كان باهر اللون ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع يتبرأ صفته ومواضعه كفر ونفي المظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او ثبوته فهنا مترددا النظر وحيرة العبر ومنصة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين لهلك على من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرء الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا

وزجل اغضبه عزمه فقال له صل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له الطالب لو صلى الله على من صلى
عليه فقيل لسحنون هل هو كشتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه
قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه
لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج
لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون
لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه
وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن
معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه
وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا
يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قوله لاخر له صل على النبي
فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه انما لاجل امر اخر
بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبه وذهب الحارث بن مسكين الفقيه
وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال لكل صاحب فدك قرآن
ولو كان نبيا مرسلا بشدة بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه ومدلول
على مصدره هل اراد اصحاب الفدك او لا فمعلوم
انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن
ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فدك من المتقدمين

والمتأخرين

والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم
لا يقدم عليه الا بأمر بين وما ترد اليه الماوردي
لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى
عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله
الذهب ولعن الله بني سرائل ولعن الله بني ادم وذكر
انه لم يرد الانبياء وانما اراد الظالمين منهم
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك
افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لو علم
من حرمه وفي من لعن لو بيع حاضر لباد ولعن
من جاء به لانه ان كان يعرف بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا
لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله
وانما لعن من حرمه من الناس على فحوى فتوى
سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا
ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا بن الف خنزير وابن مائة كلبة ونحو
من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد
من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل
بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة
الادب فيه ولو علم انه قصدت من في آبائه
من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول

284

في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم
وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في اباته
او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين
تقتضي تخصيص بعض اباته واخراج النبي صلى الله
عليه وسلم من سبه منهم وقد رأيت لابي موسى
بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم
انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي رحمه الله
وقد اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد يشهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له انما لا
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر
يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي
ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار
وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج نحو
من هذا وسدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب شاهدة
عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهو
ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله
محمد بن عيسى ايام قضائه اتى رجلا شاتما رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له
قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه

لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقتضي
الرتبة باعتقاده ضربه بالصوت واطلقه

فصل الوجه الخامس ان لا ينقصه نقصا ولا يعيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يتشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة
عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
او لغيره او على التشبيه به او عند هضيمة نالته
او عضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق
التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره
او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام
او قصد الهزل والتنذير لقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذب
فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من لسنة الناس ولم يسلم منهم
انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم
او كصبر ايوب او قد صبر نحا الله من عداه
وحلم عن اكثر مما صبرت وكقول المتنبي
انا في امة تداركها الله ٭ غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعرفين وقول المستهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب
غير ان ليس فيكما نبي وفقير ٭ على ان اخر البيت
شديد عند تدبره وداخل في باب الاوزاء

285

والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل
حال غيره عليه وكونه قوله • لولا انقطاع الوحي بعده
قلنا محمد من ابيه بدل • هو مثله في الفضل او انه
لم يأته برسالة جبريل • فصدر هذا البيت الثاني
من هذا الفصل شديد لشبهه غير النبي في فضله
بالنبي والعجز يحتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة
نقضت الممدوح والاخر استثناؤه عنها وهذه
اشد ومنه قول الاخر • واذا ما رفعت راية
صفقت بين جناحي جبريل • وقول الاخر من اهل العصر
قرن الخلد واستجار بنا • فضر الله قلب رضوان
وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد
المعروف بالمعتمد ووزيره ابو بكر بن زيدون
كان اباكر ابو بكر الرضى • وحسان حسان وانت محمد
الى مثل هذا وانما اكثرنا بشواهد مع استغنائنا بكلامها
لنعرف امثلها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا
الباب لضنك واستخفافهم قارح هذا العلم وقلة
علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلوفهم منه بما ليس لهم
من علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء
واشدهم فيه تهجما ولسانه بشر يحا ابن هانئ الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى
حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد نبهنا
عنه وعرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن شيئا

ولو اضاف

ولو اضاف الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني
عجزي بيتي المعري ولو قصد قايلها ازراء وغضا
فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة
الاصطفاء ولا غر خطوة الكرامة حتى شبهه من شبهه
في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها
او ضرب مثل لتطيب مجلسه او اعلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع
الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادبي
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعه مقاله ومقتضى
فبح ما نطق به وما لوف عادته لمثله او ندوره
وقرينه كلامه او بزمه على ما سبق منه ولم يزل
المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد
على ابي نواس قوله • فان يك يا ابن سحر فرعون قبلكم
فان عصى موسى بكف خصيب • وقال له يا ابن اللخنا
انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عسكره
من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا
وكفر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه
بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد اشتركا • وقد انكروا ايضا على الاخير
قوله في ممدوحه وكيف لا يذنب المرء سؤل • من رسول الله من فوقه
لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته
ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا

ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت
فتياء امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحا
في النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير
رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مالك وقد عرض بذكر
النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه اري ان يؤدب
قال لو نبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا
قد خطاءت الانبياء قيلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له
قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فقوله
وقال لو كتب لي ابدا وقد كره بعضهم ان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم عند التعجب او على طريق النوادر
والاجتناب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل
القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه كبر وراس
عبوس كانه وجه مالك العضبان فقال اي شيء
اراد بهذا وكبر احدنا في القبر وهما ملكان فما الذي
اراد روع دخل عليه حين راءه من وجهه امر عاد
النظر اليه لتمامه خلقه فان كان هذا فهو شديد
لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة
وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع
على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذكر مالك حارس النار فقد
جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الوجه الذي يكون

المعبس له يد فيذهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمة
صفته مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه
لله يغضب غضب مالك فيكون احق وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس
بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد وبعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو
ذمه لقبل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شتما فقال له الرجل اسكت
فانك اتى فقال الشاب لو كان النبي اتيا لم يمتنع
عليه مقاله وكره الناس واشفق الشاب
مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن
اما اطلاق الكفر عليه فخطاء لكنه مخطئ في
استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكان النبي اتيا اية له وكون هذا اتيا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب
واعترف ولجاء الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي
الى احداث الفعل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا
مسئلة استفتي فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا
القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل نقص
آخر شيئا فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا

287

وجميع البشر بلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه
وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد
السب وكان بعض فقهاء الوندليين افتى بقتله

فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك
حاكيا عن غيره وناقلا عن سواه فهذا ينظر

في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم
باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهية والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار عليه والاعلام
بقوله والتنفير منه والتحريم له فهذا مما ينبغي
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب
او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يسحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن يقتدى لئن يؤخذ عنه العلم ورواية
الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق
وجب على سامعه الوثاقة بما يسمع منه والتنقير
للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من
بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره
وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق
سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يغلط العامة
او يؤدب الصبيان فان من هذه سبيله لا يؤمن على
القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل
بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم
واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا
وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به
الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الناس
الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد
المتحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن زيد
عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه
ان لا يورى شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بمثله
ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك
واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين
فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا
آثرا لغير غرض شرعي بمباح واما الاعراض المتقدمة
فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى
مقالات المفترين عليه وعلى رسوله في كتابه على وجه
الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه
والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين

فى كتبهم ومجالسهم ليبتوها الناس وينقضوا بها
عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض
هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله وزيادة
على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه
السابقة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا
من حكاية سبه والدراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس
ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض فى قيل وقال وما لا يعنى
فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد
او معرفة بمقدار ما حكاه اولم يكن عادته اولم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى
عن العودة اليه وان فوق بعض الادب فهو مستوجب
وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب
اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا عمن يقول
القرآن مخلوق فقال مالك هو كافر فاقتلوه فقال
انما حكيته عن غيرى فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان انتهم هذا الحاكى فيما حكاه
انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له
او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله واستحقه

والتحفظ

والتحفظ لمثله فى طلبه او رواية اشعار مهجوه
عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه
يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امته وقد قال ابو عبيد القاسم
بن سلام فيمن حفظ شعر ما هجى به النبى صلى الله
عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله
عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد
دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازى والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا رواية الاشياء ذكروها
يسيرة وغير مستشنعة على نحو الوجوه الاول
لبراءة ذمتهم من قائلها واخذه المفترى عليه
بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تحرى
فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب
فى كتبه فكنى عن اسم المهجو وزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد بروايته او نشره
فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه التاسع ان يذكر ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم او يختلف فى جوازه

عليه ومما يطرأ من الامور البشرية به وعلى اضافتها
اليه او يذكر ما امتحن به وصبر فى ذات الله على شدة
من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله

289

وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومن عليه
من معاناة عيشه وكل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت به العصمة للانبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء
ولا استخفاف ولو في ظاهر اللفظ ولا في مقصد
اللفظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم
وفهماء طلبه الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق
فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه ويخشى
فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف
لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن
ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام
مخبراً عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء
حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله
بذلك عن موسى عليه السلام وهذا اعتضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من
قصد به المعاضة والتحقير بل كانت عادة في جميع
العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدبير الله
لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة امم
من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الاول ومتقدم
العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها
على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه به والتعجب

من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه
عضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه
من اشرافهم شيئاً فشيئاً ونماه وقهرهم حتى تمكن
من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم
غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره والتمكين
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متعددين لحسب كثير
من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى
علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه
هل في اباءه من ملك ثم قال ولو كان في اباءه ملك
لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار
التالفة وكذا وقع ذكره في كتاب اشميا وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب
وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة
بطريق المعارف والعلوم مع ما منح به صلى الله
عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم
الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ
ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك

نفيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وانما هي آلتها وواسطة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة
والسبب والوسيلة في غير نفيصة لانها سبب الجهالة
وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرف فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلوكه وختم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر
ما روى من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
المطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره
وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وبونه
بين حقيرها وخطيرها لسرعة فنائها وقلة
احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه
فمن اراد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا
ومن اراد ذلك على وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره
واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم يحال
وتحتاج الى تاويل وترد احتمال فلا يجب ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك
من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال

ما يدعوا

ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له
ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء
وابى الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكى عن جماعة من السلف
بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس
تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اورد ها على
قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم
في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه
فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
ودخلته الاعتبة فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب
الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى عرض
الا يجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فقرفوا في تاويلها
وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من اسف ومنهم
من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شئ في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك التشاغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المفاد واهية الاسناد وقد انكر
الاوشاغ على ابي بكر بن فورك تكلفه وتشكله الكلام
على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة
عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان كفيه
طرحها ونفيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها
اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها

واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفا للنفس

فصل وممّا يجب على المتكلم فيما يجوز على النبيّ وما لا يجوز والذاكر من حالوته ما قدّمناه

في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر بعض الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ومراقبة حال لسانه ولو بحمله وتظهر عليه علامات الوجد عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبيّ صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنه واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يفتح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز الا ما علم وهل يجوز الا ان يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل بفتح اللفظ ويشاع عنه واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي وموافقة بعض الصغاير فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب

او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من سوء توقيره عليه السلام وما يجب له من تقرير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا ففتح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجاهلين قد قوله لاجل تزلا تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه وكفر قائله واذا كان مثل هذا من الناس مستعملا في اداهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة بفتح الشيء او تحسينه وتخيرها وتهذيبها بعظم الامر وبوهنه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تشريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يحفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وثالثه ومنتقصه وموذيه وعقوبته

وذكر استتابته وورائته قد قدمنا ما هو سب
واذى فحقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلما
على قتل فاعل ذلك وقايله او تخيرا لامام فى قتله
او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول اكثر السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لو كفر ان اظهر التوبة ولو
استقاله ولو فيئه كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق
وسر الكفر فى هذا القول وسواء كانت توبته على هذا
بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تايبا
من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة
كساير الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمه الله
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب
لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابى زيد فى مثله واما
ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف
فى الزنديق اذا جاء تايبا فحكى القاضى ابو الحسن القصار
وذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله بإقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف حقنا
انه خشى الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال
اقبل توبته لانى استدل على صحتها بمجيئه فكأنا وقفنا
على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضى ابو الفضل
وهذا قول اصبغ ومسئله ساب النبى صلى الله عليه وسلم

اقوى

اقوى لو يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم
لانه حق متعلق للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث
واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعى رحمه الله
تقبل واختلف فيه عن ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله
وحكى ابن المنذر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم
بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين
الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال
القاضى ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته
والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبى بشر والبشر جبلى تلحقهم المعرة
او من اكرمه الله بنبوته والبارى تعالى منزه عن جميع
المعايب قطعا وليس من جبلى تلحق المعرة بجنسه وليس
سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة
لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره
من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبى تعلق فيه
حق لادمى فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف
فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا
فان توبة المرتد اذا ثبت تسقط ذنوبه من زنا وسرقة
وغيرها ولم يقتل ساب النبى لكفره لكن لمعنى يرجع

293

الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم
لان سبه لم تكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف اولا بتوبته واظهاره انابته رفع
عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم
السب عليه وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول
بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم جماعة فقد صرحوا
انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابا
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا وهذا الوجه
الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام
فيه فنقول من لم ير رده فهو يوجب القتل فيه حدا
وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد
عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فقتله
حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير
حكم المرتدين اذا اظهر عليه وانكر او تاب فان قيل
فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن واذ اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعم ان ذلك كان منه هزلا او معصية

وقال ابو عمر انا ليس من سب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان الله من
حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد
هذا المحل مخطوط من الام وليس هو
من الرواية

وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له
خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم منه انه
سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك
وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه
لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله
ومتقدم كفره واوبعد الى الله المطلع على صحة
افئدة عباده العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة وانكر
ما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء وتنزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها واجراء خلافهم في المرتد
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تلزم فلا خلاف
فيها في توبة المرتد اذا عرف وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم
الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم يخالفه
احد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال عطاء ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق
واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير

والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله
ولكن لدرء القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
من بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كل
من ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسود
وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك
سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة ويسترق
وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل
النساء في الردة به قال ابو حنيفة رحمه الله قال
مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك
سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن
عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه
عن عمر وهو احد قول الشافعي وقول احمد واسحق
واستحسنه مالك وقال لا ناتي الاستظهار الا
بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد
بن ابي زيد يريد في الاستتابة ثلاثا وقال مالك
ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال
ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا وايان
عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر

الصديق انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله
الشافعي مرة فقال ان لم تتب مكانه قتل واستحسنه
المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات
فان ابا قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلاث مرات وثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم
او جمعة مرة وكتب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد
الى الاسلام ثلاث مرات فان ابا ضربت عنقه واختلف
على هذا هل يهدد ويشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب
ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تخويفا
ولا تغليظا ويوقى من الطعام بما لا يضره وقال
اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجن مع الناس او وحده
اذا استوثق به سواء ويوقف مع ذلك ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب
النبي صلى الله عليه وسلم بنهان الذي ارتد اربع مرات
او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما
رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال
اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة
قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج

295

من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى
ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي **فصل** قال القاضي رحمه الله **هذا حكم**
من ثبت عليه ذلك بما يجب به توبته من اقرار
او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه
بما شهد عليه الواحد او الليف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب
على القول بقبول توبته فنذا يدرأ عنه القتل
ويسقط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه او ضعفها او كثرة السماع عنه وسوء
حاله من التهمة في الدين والتنزيه السفه والمجون
فمن قوى امره اذا قوم من شديد النكال من التضييق في
والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما
لا يمنعه القيام لضرورية ولا يعقده عن صلاته
وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف على قتله
لمعنى اوجبه وترصص به لوشكال وعابق قضاه
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف
حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب
محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقال سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل

احدهما بالوجب الموجع والنكال والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاف عاقبة نكال
في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن وليستطال حبسه
ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه
من القيد ما يطيق وقال في مثله من اشكل امره
يشد في القيود شدا ويطيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة اخرى
مثلها ولو تهراق الدماء الوبا لو مر الواضح وفي
بالسوط وبالسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة
شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين
فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط
الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن
يليق به فاسقطهما بعداوة ونحوها ان لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما بالوجه يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي التوفيق
فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح
بسبه او عرض او سخف بقدره او وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانه نقض العهد والذمة او العهد على هذا
وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل

ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في
دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم يعاهدهم ولم نعظهم الذمة على هذا ولو
لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا
كفارا يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط
حدودا لاسلام عنهم من القطع في سرقاتهم
والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون به وورد لاصحابنا ظواهر تقتضي
الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابنا
واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط انثرم
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر ونبغضه
وتنقصه بقلبه لكن منعناه من اظهاره فلم يزد
ما اظهر الا مخالفة للامر ونقصا للعهد فاذا
رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

والمسلم

والمسلم بخلافه اذا كان ظننا باطنه حكم ظاهره
وخلاف ما ابدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه
ولا سنا منا الى باطنه اذ قد بدت سرايره
وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
وقيل لا يسقط اسلام الذمي التائب قتله
لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه
لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة
فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقط عنه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه
من قتل او قذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان
لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبيا من اهل الذمة
او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم
وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن
سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولو لم نسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب
محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك
الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن
ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم

وذمي قال ان محمداً لم يرسل الينا انما ارسل اليكم
وانما بعث الينا موسى وعيسى ونحو هذا لو شئ عليهم
لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس
بنبي ولم يرسل اولم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ
يقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير
ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمداً رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله فيه هذا
الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم
النبي شتماً يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك
غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحل قوله
عندي ان اسلم طايعاً قال ابن سحنون في سؤالات
سليمان بن سالم في اليهودي يقول المؤذن اذا
تشهد كذبت بعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل
وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون قال
لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولو على قتلنا او اخذ اموالنا فاذا قتل واحداً منا
قتلناه وان كان في دينه استحلاله فكذلك
اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو نزل لنا
اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبهم له لم يجز لنا

في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سبه منهم
ويحل لنا دمه وكما لم يحصن لو سلم من سبه
من القتل كذلك لو تحصنه الذمة قال القاضي
ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه
مخالف لقول ابن القاسم فيما حقق عفوتهم فيه
مما به كفروا فاتامله ويدل على انه خلاف ما روى
عن المذنبين وذلك ما حكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال لعيسى خلق محمداً فقال اقتل
وقال ابن القاسم سألنا مالكاً عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال لمسلم محمد يخبركم انه في الجنة
فهو الان في الجنة بماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب
تاكل ساقه لو قتلوه استراح الناس منه قال ابن القاسم
ارى ان يضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها بشئ ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال
ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود والنصارى فأرى للامام ان يحرقه
بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء
احرقه بالنار حياً اذا رآها فتوا في سبه ولقد كتب
الي مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم
المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت
بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك
وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره

ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك قتل وحرق
وافتى عبد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف
اصحابنا الوند لسيتين بقتل نصرانية استهلف
بنفي الربوبية وبنبوة عيسى لله وتكذيب محمد
في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به
قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن
الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله
ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه
باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما
حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي او غيره
فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف لكن انظر ما ذا يجب عليه
هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويجلد تامل
ذلك فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم وغسله والصلاة عليه
اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه

كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين
ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهترا
فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي اذا قتل وهو منكر للشاذة فالحكم
في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل
حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر
بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه
وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابا التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ويستر عورته
ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن
في المجاهر المتمادي بيّن لو يمكن الخلوف فيه لانه
كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب محمد بن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية وجماعة
من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فمن اعلن
كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد
لورثته وورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي
ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله
اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد
بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي
يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي

فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله
تعالى ثم مات ولم تقم عليه بينة او لم نقتل
انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
او اعلن دينا بما يفارق به الاسلام ان ميراثه
للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا يرثه ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي
وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث والثوري
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك
فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن وفاق في جوابه حسن بين
وهو على راي اصبغ وخلاف قول ابن محنون واختلفا
على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثته ورثته
من المسلمين قامت عليه بينة بذلك فانكرها او
بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره
او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع
عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين
لان ماله تبع لدمه وقاله ابن دحاء من اصحابه
وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد

ومحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان عرف
بما شهد عليه به تاب وقتل فلا يورث وان لم يقر
حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من استكتموا
فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم
بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه
وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمين فاجاب
انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لو نزلا لتوارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقصه العهد هذا
معنى قوله واختصاره **الباب الثالث في حكم
من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه**
وصحبه لاخلاف ان سباب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن محنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى
من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا
ان يكون افترى على الله بارتداده من دينه فان
اظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال
في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قتل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي

حكاه القاضي ابن نصر عن المذاهب وافتى ابو محمد
بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا وقال له
فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى
فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه
وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة
في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها انه قال عند استقالاله من مرض
لفيت في مرضي هذا ما لو قلت ابا بكر وعمر لم استوجب
هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان
مضمن قوله تجويز الله تعالى وتظلم منه والتربص
فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه لان القاضي راى عليه الثقل
في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه
وصرفه الى التشكي فوجه من قال في باب الله
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله والاسلام
الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
وبعد اظهار الاسلام قبل انهمناه وظننا ان
لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لو تبطل
في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته

واذا انتقل من دين الى اخر واظهر التوبة عما الا
وهذا فاعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك وحكم هذا حكم المرتد
يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب
مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف
في قوله فصل واما من وصف الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد
والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه
او نفت بخارجة او نفي صفة كمال فهذا ما اختلف
السلف والخلف في تكفير قايله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم
اذا حاربوا وابوا وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة
في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهروا اقلاعهم والتنكيل
بهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز
في الخوارج وعبد الملك الماجشون وقول سحنون
في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا
وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمدوا
قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من انتحل
والقدرية ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف

301

لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله
ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل العدد وغيرهم
قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله له في المبسوط في الوباضية والقدرية و
اهل البدع قال مسلمون وانما قتلوا رايهم السوء
قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم
ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا
قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفيرا منا لهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله
كلام انه كافر واختلف الروايات عنهما لله قال
في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجوه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال
من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء
من جسده بيد او سمع او بصر فقط ذلك منه لانه
شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد
ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن
بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي
ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله

المتزي من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف
قوله في عادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر
عن الشافعي لو يستتاب القدري واكثر قول السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن
لهيعة روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله
ابن المبارك والاوزاعي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين
وهو قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين
فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة
واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة وهذا الاصول
من روى عنه معنى القول الاخر يترك تكفيرهم على
ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة
من الفقهاء والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجرى احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع
يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد
في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله
وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في اموال
ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين

302

من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمة
على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يكفون
بين المسلمين من العداوة **فصل في تحقيق القول**
في اكفار المتاولين فذكر فيه مذاهب السلف
في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين
ممن قال قولا يؤدي به مساقة الى الكفر هو اذا وقف عليه
لو يقول بما يؤدي به قوله اليه وعلى اختلاف في ذلك اختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير
الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من ابى ذلك
اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء
والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ويوارثهم
من المسلمين ويحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون
في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير واضده واختلف
قول مالك في ذلك وتوقفه على اعادة الصلوة
خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر
امام اهل التحقيق والحق وقال انهم من المعصومات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا
يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال بعض
كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتاويل لا يحل

مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم
ويختلف في مواريثهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا نورث ميتهم ونرثهم من المسلمين ولا نورثهم
هم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله
ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل
بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم
او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به
وهو كافر ومثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته
لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له
بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة
او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرها من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل
فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ
في ترك الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من دم
مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني
الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة
في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم له في الاسلام وتسمية
الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك

303

في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من
يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق
التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك
وقد ورد مثله في الربا وعقوق الوالدين
والزور وغير معصية واذا كان محتملا والامر فيه قد تقطع
على احدها الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم
من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتلى تحت
اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا رأيتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما
من قتلهم خروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله
من الحديث نفسه تقتلون اهل الاسلام فقتلهم
هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للقتال
وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد
في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال
لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن
القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل
قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين امروق السهم
من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على
فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق
من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنا لا يجاوز
حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له

صدورهم

صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله
ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في خاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
في هذه الامة ولم يقل يخرج من هذه وتحريف ابي سعيد
الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بقي لو تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة
من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد ورد
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني
مشتركة فهو تعويل على اخراجهم من الامة بقي ولا على
ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء
في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة
فقه الصحابة وتحقيقهم المعاني واستنباطها
من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه
المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق
فيها مقالات كثيرة مضطربة بجهلة اقربها قول جهم
ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد
بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله
تشبيها لله بخلقه وتجويزا له في فعله وتكذيبا
لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له
الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان
ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله

304

فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا
ان يكون ممن يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب
عبيد الله بن الحسن العنبري الى صوب اقوال
المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذا جمعوا سواه
على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ
فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما
قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا وغيرهم وقال
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة فان كثيرا من العامة
والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود
وغيرهم لا حجة لله تعالى عليهم اذ لم يكن لهم طباع
يمكن معها الاستدلال وقد يحكى الغزالي قريبا من هذا
المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر باجماع
على كفر من لم يكفره احدا من النصارى واليهود وكل
من فارق دين الاسلام او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر لان التوقف والاجماع على
كفرهم توقف في ذلك فقد كذب النص والتوقف
او شك فيه والتكذيب والشك فيه يوقع
الانسان كافرا

فصل في بيان ما هو من المقالات
كفر وما يتوقف فيه او يختلف وما ليس

بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه
مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين
فيه ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة
الدهرية وسائر فرق الاثنين من المجوسية والثنوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او النجوم او النار او اتخذ غير الله من مشركي
العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من
الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته
ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا
او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه
في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم
سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الوهيين من الفلاسفة والمجسمين
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج
اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول
بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه
او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية

305

او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابدا الاباد
في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب ركابها
وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية
ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
خصوصا او واحد من الانبياء الذين نص الله
عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بالاجماع كاليهود
ومعظم اليهود والدروسية من النصارى والزيدية
من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه
جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء
قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من زاد
بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد عليه السلام
ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به او ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة
المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء وزعموا
ان ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل
من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبونا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصورا فهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع
وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل

والارتياب

والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبره او شك
في صدقه اوسبه او قال انه لم يبلغ او استخف
او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او
قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك
نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان كل
من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير
والذئاب والدود ويحتج بقوله تعالى وان
من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى
ان توصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الازراء على هذا المنصب الشريف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلاف وتكذيب
قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة
بما تقدم وبنبوة نبينا عليه السلام ولكن
قال كان اسود اومات قبل ان يلتحي وليس الذي
كان بمكة والحجاز وليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة تفويله وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده
كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته
الى العرب وكالحرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في
الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك
كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة

306

والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان واشباه هولاء اومن ادعى
النبوة لنفسه اوجوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه
وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل
الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي
بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل
كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل
ولا تخصيص فلا شك في كفر هولاء الطوائف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديث
مجمع على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان
بغير ملة الاسلام من الملل او وقف فيهم او شك
او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه
فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك
وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به
الى تضليل الامة وتكفير جماعة الصحابة

كقوله

كقول الكيلية من الرافضة بتكفير جميع ائمة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفره
عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولاء
قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ نافلوه كفروه
على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه
بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بتسميتهم النبي
صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد
الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم
لعنه الله عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك
يكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر
وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب
والنار والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها
والزي بزيهم من شد الزنانير وقص الشوارب فقد
اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه
الافعال علامة على الكفر وان صرح صاحبها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من تعمد
القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه
بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض
غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من
كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم

307

ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات
الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
علينا في كتابنا الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى
هذه الصفات والشروط لا علمه اذ لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك
اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة ظهرا
وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال
امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة
وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى
استباطها واباحة كل شئ لهم ورفع عهد الشرائع عنهم
وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام
او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعلنا لما قلنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا
ووهموا فهذا ومثله لا عبرة في تكفيرهم ان كان ممن يظن به
علم ذلك ومن خالط المسلمين واشتدت صحبته لهم او
ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك
ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين
فلا نجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك

وان تلك

وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي
الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول والمسلمون
وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة
هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله
بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا
بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر بالاتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري
ولا يصدق فيه بل ظاهره المستغرق للتكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول
الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاستراثة
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها والقرآن والجملة
عري الذين كفرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر
القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه
كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس
بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة
ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر النضري
انه لا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة
في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما
ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله

308

كمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وبضربه
القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص به القرآن
بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس و
مصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب
عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح
النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم عن
ناقليه فكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه
تستتر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب والقيمة وزعم كما زعم بعض
للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله المتواتر
وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد
بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب
معنى غير ظاهر وانها المذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت
او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحلل
العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل
من الانبياء فاما من انكرها عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال الشريعة
ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة

تبوك او موته او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة
علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره بجحد نعمة
فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع
العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كما
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه
فاما من ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين
وهم المسلمين اجمع فتكفيره بذلك لسريانه الى اكثر
الشريعة فاما من انكر الاجماع المحرر الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع
لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا
الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع
الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف
في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف
اجماع السلف على احتجاجهم به حادث للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده

309

وانه لايكفر احد بقول ولو راى الوان يكون
هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله
ورسوله او جميع المسلمون انه لايوجد الا من كان في
او بقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله
او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله
لايكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله
تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله
ورسوله او يجمع المسلمون على ان ذلك لايكون
الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس
بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون
ذلك القول او الفعل لايمكن معه العلم بالله قال
وهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم
ان فاعلهما كافر فمنهم من الايمان فامّا من نفى
صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها
مستبصرا وذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة لله تعالى فقد نص ائمتنا على انه
على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها
وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام
فهو كافر وهو لايكفر المتاولين كما قدمناه فامّا
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلماء ها هنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن
ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري

مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لو يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع ابو الحسن الاشعري قال لانه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه
دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقالته
حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي
صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد
لا غير وبحديث العابد الذي قال لئن قدر الله علي ليعذبني
وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا
ولو بحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاولون
عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر
ولا يكون شكا في القدرة على احيائه بل في نفس
البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن
ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك
فيه حينئذ كفرا فامّا ما لم يرد به شرع فهو
من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق
ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها او غضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل كالنائم
ولو ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع
والخشية التي اذهلت له فلم يواخذ به وقيل كان
هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف

310

وله امثلة فى كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى
وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول
عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا
فى سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال
بالمال لما يؤدى اليه قوله ويسوقانه مذهبه
كفر لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه
قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل
من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يراعاخذهم
بمال قولهم ولا لزمهم موجب مذهبهم ولم ير
اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لو نقول ليس بعالم ونحن نتقى من القول بالمال الذى
الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كريم فنقول
ان قولنا لو نؤول اليه على ما صلناه فعلى
هذين المأخذين اختلف الناس فى اكفار اهل التاويل
واذا فهمته الصحيح لذلك الموجب لو اختلف
الناس فى ذلك والصواب ترك اكفارهم والاقتصار
عن الحكم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم
فى قصاصهم وورثاتهم ومناكحتهم وديانتهم والصلوة
عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة

الصدر

الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على عهد من الصحابة
وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر
وراى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قدما
ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا ولكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفى والقتل على قدر احوالهم
لانهم شقاق وضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة من لم يقل بكفرهم منهم خلوفا
لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب وقال
القاضى ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء
الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع
فى اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس فى الجهل
شىء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون
على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا فى الفصل
قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا ما غنى
عن اعادته بحول الله

فصل هذا حكم المسلم التائب لله تعالى واما الذمى فروى

عن عبد الله بن عمر فى ذمى تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج
ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال
مالك فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن
القاسم فى المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون
من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى

به كفر واقتل ولم يستتب قال ابن القاسم لا ان يسلم
قال في المبسوط طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي
كفر به هو دينهم وعليه عوهد ومن دعوى الصاحبة
والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم
وكتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب
والا قتل وقال المطرف وعبد الملك مثل قول
مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى
بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عيسى ان تاب
وشيوخ الاندلسيين في النصراني وفيما هم بقتلها
لسبها بالوجه الذي كفرت به لله وللنبي واجماعهم
على ذلك وهو نحو القول الاخر فمن سب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان
لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا
من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم
واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه
خرج من كفر الى كفر وقاله عبد الملك بن الماجشون

يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه
جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره **فصل**
هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه
تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او الثاني ان يكون الله خالقه او ربه او قال
ليس لي رب او لمتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكر
او غمرة جنون فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه
مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته
على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فسقه لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولو سرفه
عن شديد العقاب لكون ذلك زجرا لمثله
عن قوله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر
ذلك منه وعرف استهانته بما اتاه فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالمزنديق
الذي لا ثقة من باطنه ولا تقبل رجوعه وحكم
السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه
فاعلم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه
بالكلية فلا تظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال
ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة
على سوء الخلق تراض وقد حرق علي بن ابي طالب

رضي الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل
عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشارهم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك
من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر على
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق
مع عسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته
وكذلك حكموا في ابن العواق وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاته بغداد
يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن
عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة
واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي
رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب حبيب ومحمد
في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه
وهو كالمرتد وقاله سحنون وعنه وقاله اشهب
في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلناً
بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن
ابي زيد فيمن لعن باريه وادعى ان لسانه زل وانما
اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الاخر من انه لو تقتل توبته وقال ابو الحسن
القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب اديب
فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا

كفر المستهزئين فصل واما من تكلم من سقط القول
وتخفف اللفظ فمن لم يضبط كلامه واهمل
لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظم ربه وجلالة
مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله
من ملكوته او تزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا
في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به
على تاونه به دينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن لخت عجب وكان خرج
يوماً فاخذه المطر فقال بدأ الحاذر يرش جلوده
وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب النوادر
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى فتوقفوا
عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
تكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى
بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي اينتم رب عبد ثم
ثم تنصله انا اذا العبد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمان بن
الحكم الاموي وكان عجب عند هذا المطلوب
من خطاياه واعلم باختلاف الفقهاء فرخ الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه

313

وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لهمته بالمداهنة وفي هذه القضية دوية
بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك
الهنة الواحدة والفلتة الشاردة مما لم يكن تعمدا
وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها
وشنعة معناها وصورة حال قايلها وشرح سببها
ومقادنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل
نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال
ان كان جاهلا اوقاله على وجه سفه فاوشى عليه
قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لو قتل عليه
والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يودب ولو قالها على
اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله
وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومنهمهم وهذا الباب
واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما نزه
كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولو اننا قصدنا
قصص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما ينقل ذكر علينا
مما حكيناه وهذه الفصول وامثالها ورد في هذا
من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول البعض الاعراب
رب العباد ما لنا ومالكا قد كنت تسقينا فابدا كما
انزل علينا الغيث لابالكا في اشباه لهذا من كلام
الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم
في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب
تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله

قال

قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول
والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن
عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل
كذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل
ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للرجل ان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله
خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير وجهه وحدثنا
الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته
اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله جل وعز ونزل الكلام في هذا الباب تنزيله في
باب سباب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها والموفق لله فصل وحكم من سب سائر
انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا
عليه السلام على ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب

314

ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ وسحنون فمن شتم الانبياء
او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم
من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون
عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم
وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي
بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله
تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك
فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان
النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول الغزالية من الروافض
سموا بذلك لقولهم وكان النبي اشبه بعلي من الغراب
بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من
كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ
منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي
قال الاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف
انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل
المصنف وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جهة
الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه
من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق

عليه

عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من
وكهاروت واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما
ما لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على
كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت
في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم
واسيه وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس
وزرادشت الذي يدعي المجوس والمورجون نبوته
فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم يثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم
واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما
من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت
نبوته واما انكار نبوتهم او كون الخبر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج
لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس
زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس
لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام
في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

**فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف
او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا
منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء**

مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه
او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك من ذلك
وهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه
لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو على ثنا ابن عبد البر
ثنا ابن عبد المؤمن القرطبي ثنا ابن داسة ثنا ابو داود
احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن
ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المراء في القرآن كفر قوله يعني الشك ومعنى الجدال
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية
من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها
او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في الصحف
بايدي المسلمين مما جمعته الدفتان من اول الحمد لله
رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان
جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك
او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه والجمع على انه
ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى
مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية

لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اي لانه
كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي
وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله
يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه
قال وكذلك ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله
ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد وجميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل كفر
وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له كما قرأ
ويقول انما انا قارئ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال
اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال
عبد الله بن مسعود من كفر باية من القرآن فقد كفر به كله
ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض
القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوراة فقال له الاخر لعن الله
التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه
سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود
فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل
والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله
لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم

316

ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة محرفا لصار
التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرى احد ائمة المؤمنين المنصدرين بجامع ابن مجاهد
لقرائه واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس فى المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه لما اشتهر
فيه بذلك على يقينه فى مجلس الوزير ابى على بن مقلة
سنة ثلوث وعشرين وثلثمائة وكان ممن افتى عليه
بذلك ابو بكر الابهرى وغيره وافتى ابو محمد بن ابى زيد
بالادب فيمن قال لصبى لعن الله معلمك وما علمك وقال
اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما
من لعن المصحف فانه يقتل **فصل وسب آل النبى**
صلى الله عليه وسلم واهل بيته وازواجه
واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون
فاعله **حدثنا** القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا
ابو الحسن الصيرفى وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى
ثنا ابو على السنجى ثنا ابن محبوب ثنا الترمذى ثنا
محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عيينة بن ابى زياد
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى
الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم
فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى

فمن

فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
عليه السلام لا تسبوا اصحابى فانه يجئ قوم فى آخر
الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا
معهم ولا تناكحوهم ولا تخالطوهم وان مرضوا فلا
تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابى فاضربوه
وقد علم النبى صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه واذى النبى حرام فقال لا توذونى فى اصحابى
ومن اذاهم فقد اذانى وقال لا توذونى فى عائشة
وقال فى فاطمة بضعة منى يؤذينى ما اذاها وقد
اختلف العلماء فى هذا فمشهور مذهب مالك
وذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك
رحمه الله من شتم النبى صلى الله عليه وسلم قتل ومن
شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او على
او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا فى ضلال
وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس
نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابى بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد
ويكرر ضربه ويطال حبسه حتى يموت ولو بلغ به
القتل لم ار فى ذلك بأسا وقال سحنون
من كفر احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

سجنه

عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد
بن ابى زيد عن سحنون من قال فى ابى بكر وعمر وعثمان
وعلى انهم كانوا على ضلالة او كفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى
عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل
قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال
ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر
وحكى ابو الحسن الصقلى ان القاضى ابا بكر بن الطيب
قال ان الله تعالى اذا ذكر فى القرآن ما تنسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه فاى كبير وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه
وتبرئها من السوء كما سبح نفسه فى تنزيهه من السوء
وهذا يشهد لقول مالك فى قتل من سب عايشة
ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم
سبه وكان سبها سبا لنبيه ورد سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كما حكم موذى
نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكفر
فقدم الى موسى بن عيسى العباسى فقال من حضر هذا
فقال ابن ابى ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه
واسله فى الجامعين وروى عن عمر بن الخطاب انه

نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن
الاسود فكلم فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه
حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروى ان عمر بن الخطاب اتى بامراة
يجوا الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه
قال مالك ومن انتقص احدا من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم فليس له فى هذا الفى حق قد قسم الله الفى
فى ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال
والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء
الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية فمن انتقصهم فلا حق له فى فى المسلمين وفى كتاب
ابن شعبان من قال فى واحد منهم انه زانى او لامه
مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا
لامه ولو اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا
على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابى
فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وفى كافرة حد
حد القرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا
الصحابى حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا الحق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم
ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولى القيام به
قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم

318

ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسبب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة
يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب
عزما لان من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر
توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه
وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه ما لقه في رجل
انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر
الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله فقهاء
المسلمين بالفقه قال ابو المطرف ذكرهذا لابنة
ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو خصم
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك
ويوبخ ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة
ثابتة فيه ويبغض في الله وقال ابو عمران في رجل
قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه كان في مثل
ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ عليه
وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا وجيعا ويبلغ به
حد الموت وذكرها رواية قال القاضي ابو الفضل
هذا انتهى القول بنا فيما حرناه واخترناه من الفرض الذي
انتحيناه واسوقي في الشرط الذي شرطناه مما
ارجوان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل
باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سوغت فيه عن نكت

تستغرب

تستغرب ويستبدع وكرعت في مشارب
من التحقيق لم يورد لها قبلي في اكثر التصانيف مشرع
واودعته غير ما فصل ودرت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه او مقيدا يفيدنيه عن كتابه او فيه
لكنني بما ارويه عما ارويه والى الله جزيل الضراعة
بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزيد
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اوردناه من شرف مصطفاه وامين وحيه
واسهرنا به جفوننا لنتبع فضايله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز حصايصه ووسايله ويحمي اعراضنا عن تاره
الموفرة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن يذاد اذا
اديد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باقتنايه
واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نجوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا زمرة نبيا وجماعته
ويحشرنا في الزمر الاول واهل الباب الايمن
من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه
من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما
اوردناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي
لا يحجب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد
دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين

الرعيل هي الزمرة الاولى
يدخل الجنة

319

وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين نجز الكتاب المشفا بتعريف حقوق
المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعلى اله واصحابه الشرفا
فا برغ نجم وعفا وسلم

وافق الفراغ منه فى اوائل شعبان المعظم سنة ست
وسبعين ومائة والف

320 ilt.